التفسير الإسلامي للانحراف والسلوك الإجرامي

للأستاذ الدكتور
نبيل السمالوطي
أستاذ علم الاجتماع بكلية العلوم الاجتماعية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

التفسير الإسلامى للانحراف والسلوك الاجرامى :

بحث فى علم اجتماع السلوك الانحرافى .

١ ـ مقدمة حول قضايا البحث وموضوعاته ومنهجه .

٢ ـ المحاولات الوضعية لتفسير السلوك الإجرامى .

أ ـ تصنيف إدوين سوزرلاند للمدارس التفسيرية .

ب ـ تصنيف هاسكل وبابلونسكى للمدارس التفسيرية .

٣ ـ عوامل الانحراف والسلوك الإجرامى فى الفكر الإسلامى .

٤ ـ وسوسة الشيطان ونقص الإيمان كعامل حاكم فى التفسير.

٥ ـ الإسلام والتفسير الاجتماعى والثقافى للانحراف والجريمة .

٦ ـ الإسلام والتفسير البيئى للانحراف والسلوك الإجرامى .

٧ ـ الإسلام والتفسير الاقتصادى للانحراف والسلوك الإجرامى .

٨ ـ الإسلام والتفسير(البيولوجى) للانحراف والسلوك الإجرامى .

٩ ـ الإسلام والتفسير التربوى للانحراف والسلوك الإجرامى .

١٠ ـ الإسلام والتفسير النفسى للانحراف والسلوك الإجرامى .

١١ ـ التورط فى الانحراف أول مرة وأثره على استمرارية السلوك الانحرافى (المعالجة الإسلامية).

١٢ ـ أساليب استخدام الوقت (خاصة وقت الفراغ) وعلاقته بالانحراف.

١٣ ـ خاتمة البحث.

١٤ ـ مصادر البحث.

مقدمة حول قضايا البحث وموضوعاته ومنهجه :

استحوز الانحراف والسلوك الإجرامى من حيث محاولة فهمه وتفسيرة وضبطه ومكـافحتـه على النـاس والحكـام والمسئولين منذ نشأة المجتمع البشرى. كما استحوز على اهتمام المشتغلين بعلوم الحياة والاجتماع والنفس والدين والقانون والاقتصاد والسياسة والأمن، فى العصور الحديثة، من أجل الوقوف على العوامل التى تفسر هذا النمط السلوكى، تمهيدا للتنبؤ به والتحكم فيه. وينبثق هذا الاهتمام بمكـافحة الانحراف والسلوك الإجرامى فى كل المجتمعات وعلى امتداد تاريخ الإنسـان والمجتمعات من ارتباط هذا النمط السلوكى بالأسس البنائية والوظيفية والتكـاملية التى يقـوم عليهـا التنـظيم الاجتمـاعى للحياة الاجتماعية، على كل مستوياتها الدينية والسياسية والاقتصادية والأمنية. . . كما يرتبط بالنظام العام Social order التوازن الاجتماعى واستمرارية الوجود الاجتماعى، وعوامل التماسك والتوتر والتفكك.

وسوف يكون منهج عرض قضايا هذا البحث على النحو التالى :

أولا - عرض سريع لأهم المحـاولات الـوضعية طبقـا لتصنيفـات بعض كبـار المشتغلين بعلوم الجريمة والاجتماع الجنائى فى مجال تفسير السلوك الانحرافى والإجرامى.

ثانيا - عرض لأساسيات التفسير الإسلامى للانحراف والسلوك الإجرامى، وسوف يتضح من هذا العرض تكاملية التفسير الإسلامى وشموله واستيعابه لكل أنـواع التفسـيرات المختلفة وتوظيف كل منها فى موقعه من البناء التفسيرى الشأمل، إلى جانب اشتمال التفسير الإسلامى على حقائق ليس فى مقدور العلوم الوضعية فهمها أو دراستها من خلال المناهج الاستقرائية الوضعية. الأمر الذى يستوجب الرجوع إلى مصادر الإسلام عقيدة وشريعة وفى مقدمة هذه الحقائق وسوسة الشيطان، وهوى النفس، وغياب أو ضعف الإيمان. فهذه العوامل هى العوامل الحاكمة فى تفسير الانحراف والسلوك الإجرامى.

ثالثا ـ وسوف نتناول بعد ذلك بقية أسس التفسير الإسلامى للانحراف حيث نتناول التفسير الاجتماعى والثقافى للسلوك الانحرافى فى ظل الإسلام.

رابعا ـ سنتناول موقف الإسلام من التفسيرات البيئية للانحراف.

خامسا ـ سنتناول موقف الإسلام من التفسير(البيلوجى) للانحراف.

سادسا ـ سنتناول موقف الإسلام من التفسير الاقتصادى للانحراف.

سابعا ـ سنتناول موقف الإسلام من التفسير والتربوى للانحراف.

ثامنا ـ سنتناول موقف الإسلام من التفسير النفسى للانحراف.

تاسعا ـ سنتناول موقف الإسلام من التورط فى السلوك الإجرامى للمرة الأولى وأثره فى استمرار ممارسة السلوك الإجرامى. وأساليب المواجة الإسلامية.

عاشرا ـ سنتناول موقف الإسلام من قضية استخدام الوقت، وارتباط السلوك الانحرافى بسوء استخدام وتوظيف وقت الفراغ خاصة لدى الشباب.

حادى عشر ـ خاتمة البحث.

أولا ـ المحاولات الوضعية لتفسير السلوك الانحرافى

ظهرت فى علوم الإجرام المختلفة مجموعة كبيرة من النظريات الوضعية التى حاولت كل منها تقديم تفسير معين لعوامل السلوك الإجرامى. ودارت كل مجموعة من النظريات فى إطار نموذج تفسيرى Explanatory model كالنماذج العضوية والنموذج النفسى، والنموذج الاجتماعى . .وقد ظهرت عدة محاولات لتصنيف هذه النظريات او المدارس التى طرحت فى مجال علم الاجرام ، أبرزها محاولتان وهما :

المحاولة الأولى : تصنيف «إدوين سوذرلاند E. Sutherladnd وزميله وتلميذه. دونالد كريسى D. Cressey .

المحاولة الثانية : تصنيف «مارتين هسكل Martin Haskell ولويس يابلونسكى. L. Yablonsky

التصنيف الأول :

صنف «سوذرلاندوكريسى» Sutherland and Cressey المدارس التى ظهرت لتفسير السلوك الإجرامى الى خمس مدارس هى(*)

أولا - المدرسة التقليدية لعلم الإجرام والقانون الجنائى. وقد ظهرت فى إنجلترا خلال النصف الأخير من القرن التاسع عشر. ثم انتشرت بعد هذا فى أوربا وأمريكا. وقد وضع بكاريا أسس هذه المدرسة. وتقوم على أساس عدة مبادىء أهمها أن اللذة والألم هما أهم محركات السلوك البشرى وأن الإنسان حر الارادة، حيث تصدر أفعاله عن كامل إرادته وعقله وأن المجرم يوازن بين اللذة والألم فإذا رجحت كفة اللذة أقدم على السلوك الإجرامى، ولهذا نادى أنصار هذه النظرية بجعل العقوبة مشددة وفورية وموحدة ومعلنة ونادوا بضرورة العمل على اكتشاف كل الجرائم. وظهر فى مواجهة هذه النظرية العديد من النظريات والمدارس.

ثانيا - المدرسة الجغرافية :

ويطلق عليها أحيانا مدرسة الخرائط، وهى قريبة الشبه بما يطلق عليه الآن المدرسة البيئية. ويعد «كوتلت» و «جيرى» رواد هذه المدرسة فى فرنسا، وتبعها عدد كبير من الدارسين فى إنجلترا وألمانيا. وقد ازدهرت هذه المدرسة فى الفترة من ١٨٣٠ - ١٨٨٠، وركز أنصارها على ربط الجريمة وتوزيعاتها بمتغيرات بيئية كالتضاريس والمناخ والرطوبة والتربة..

ثالثا - المدرسة الاشتراكية :

وقد اعتمد أنصارها على آراء «ماركس» و «انجلز» سنة ١٨٥٠، حيث ركزوا على ربط السلوك الإجرامى بالعوامل الاقتصادية التى تتعلق بنمط وأساليب وقوى إنتاج وأساليب توزيع الثروة ونمط الملكية... مما أوقعهم فى الحتمية الاقتصادية، وهو مدخل مرفوض فى التفسير الاجتماعى لأنه ينطلق من منطلقات أيديولوجية وسياسية وليست علمية.

---

* مذكرة تفصيلا فى كتاب « إدوين سوزرلاند » ، « رونالد كريس » بعنوان Criminology صادر عن Lippincott الطبعة الثامنة سنة ١٩٧٠ الفصل الثالث.

رابعا ـ المدارس النوعية أو الشخصية :

وتشترك هذه المدارس ـ حسب تصنيف «سوذرلاند» و «كريسى» فى المنطق العام والاستراتيجية المنهجية، والتأكيد على أن المجرمين يختلفون عن غير المجرمين فى الخصائص الشخصية، وأن تلك الخصائص هى المسئولة عن تفسير سلوكهم الإجرامى، وقد تنجم هذه الخصائص عن عوامل وراثية، كما قد تنجم عن ظروف وتفاعلات اجتماعية، وتختلف هذه المدارس من حيث تحديد الخصائص الأساسية الفارقة بين المجرمين والأسوياء. وهناك ثلاثة مدارس فرعية تندرج تحت هذه المدارس (Sutherland and cressey 1960 ch.3) .

أ ـ مدرسة «لومبروزو» أو المدرسة الإيطالية: وتقوم هذه المدرسة على عدة قضايا أهمها ان المجرمين يتسمون بخصائص ولادية فارقة، وان هذه الخصائص هى شذوذ جسمى لا يؤدى بذاته إلى الجريمة، ولكنه يهيىء الاستعداد للإقدام على السلوك الإجرامى إذا تهيأت لهم الظروف والفرصة، وان هذه التشوهات الجسمية ناجمة عن نكسة وراثية ولا يستطيع أصحاب هذه التشوهات الوراثية تجنب السلوك الإجرامى إذا تهيأت لهم فرص الانحراف، وذهب بعض أنصار هذه النظرية إلى أن الكثير من فئات المجرمين كاللصوص والقتله ومجرمى الجنس، تتميز كل من الأخرى بعيوب أو تشوهات جسمية محددة.

وبشكل علم فقد ركزت مدرسة «لومبروزو» على فكرة الجبرية (الفيزيقية) للرد على فكرة حرية الإرادة والعقلانية عند أنصار المدرسة (الكلاسيكية). كما (وجهت) فيما بعد إلى أنصار فكرة الجبرية الاجتماعية والمحاكاة لدى مدرسة «دوركيم» ومدرسة «تارد». وقد أحدث «لومبروزو» نفسه مجموعة تعديلات على بناء نظريته، حيث خفض نسبه المجرمين بالميلاد إلى العدد الكلى للمجرمين، من ١٠٠٪ إلى ٤٠٪ كما أجرى أنصار «لومبروزو» مثل «جاروفالو» Garofalo و إنريكوفيرى» Ferri مجموعة أخرى من التعديلات أدت فى النهاية إلى افتقاد هذه المدرسة لخاصية الحتمية (البيولوجية). وقد وجه بعض العلماء، نقدا حادا إلى هذه المدرسة، وبعض النقد

صدر عن دراسات واقعية مقارنة مثل دراسة «تشارلس جورنج» C. Goring بعنوان المذنب الإنجليزى «ويرى» «سوزرلاند» أن هذه المدرسة أخرت الأعمال العلمية التى كانت تتقدم فى وقتها، ولم تقدم أية نتيجة تستحق الخلود.

ب ـ مدرسة الضعف العقلى : وتستند إلى أعمال «جودارد» H. H. Godard فى دراسته بعنوان الضعف العقلى. ويشير «سوذرلاند» و «كريس» إلى انه بعد إخفاق مدرسة «لومبروزو» استخدم بعض الباحثين مثل «جودارد» منهاجها مع ضعاف العقول، حيث ذهب إلى ان الضعف العقلى هو السبب الأساسى الذى يفسر السلوك الانحرافى فالضعيف عقليا يعجز عن إدراك عواقب تصرفاته، كما يعجز عن تقدير الضوابط الاجتماعية والقانونية. وقد سقطت هذه الفكرة الحتمية بعد تقدم القياس النفسى والعقلى.

جـ ـ المدرسة (السيكولوجية): وترجع إلى آراء «سيجموند فرويد» خاصة فى مجال الشخصية والصراع النفسى وتشخيص العقد النفسية وتحديد أبعاد الموقف (الأوديبى) فإذا كانت الشخصية تتألف عنده من جانب غرزى (أسرف فى تحديده بأنه يتضمن غريزة الحياة أوالجنس، وغريزة الموت أو العدوان) وهو الجانب الشهوى الغرزى الخالص والجانب الثانى هو الجانب المثالى الصادر عن المجتمع بمعتقداته وقيمه ومثله العليا، وجانب ثالث وهو الآنا الذى يحاول التوفيق والتوازن بين المتطلبات المتصارعة للجانب الأول والثانى. وإذا كان «الأنا» Ego عند الإنسان ضعيفا فإنه قد ينحرف إلى أى من الجانبين الأول أو الثانى ويعجز عن التوفيق بينهما بالكفاءة المطلوبة، وهنا يكون الانحراف. وهذا يعنى أن المدرسة الفرويدية تحاول الربط بين السلوك الإجرامى وبين الاختلالات والصراعات النفسية والعقلية والانفعال والشخصية، الناجمه عن عوامل اجتماعية وتربوية. ويشير«سوذرلاند» إلى أن الفكرة الأساسية فى هذه النظرية، هى أن طرازا معينا من الشخصية ـ يكون بعيدا تماما عن الثقافة الإجرامية سوف يصدر عنه سلوك إجرامى بغض النظر عن المواقف الاجتماعية. وكما يشير «سوذرلاند» و «د. كريسى» فإن هذه النظرية عجزت كسابقاتها

عن تقديم تصور تفسيرى مرض وكاف لكل أنماط السلوك الإجرامى ، إلى جانب أنها ركزت على جانب وأهملت جوانب عديدة .

خامسا ـ المدرسة الاجتماعية :

تضم هذه المدرسة أنصار مجموعة كبيرة من الاتجاهات المتناقضة أو المتصارعة وإن كان نقطة الالتقاء بينها تتمثل فى رفض ربط الجريمة بمتغيرات (بيولوجية) أو نفسية خالصة . فالسلوك الانحرافى أو الإجرامى فى نظر أنصار هذه المدرسة لا يمكن فهمه وتحليلة إلا فى ضوء عوامل اجتماعية وثقافية وتاريخية . وقد نمت هذه المدرسة بشكل واضح فى أمريكا لدرجة أن علم الإجرام أصبح موضوعا للدراسة فى أقسام علم الاجتماع الناشئة بالجامعات منذ أواخر القرن الماضى . ويركز أنصار هذه المدرسة على بعدين أساسيين هما :

أولا : ربط التغير فى معدلات الجرائم وأنواعها ونسبها بالتغيرات التى تحدث فى التنظيم الاجتماعى ، بما فى ذلك التحولات التى تطرأ على النظم الاستراتيجية داخل المجتمع ، لهذا نجدا أنصار هذه المدرسة يناقشون قضايا الانحراف والسلوك الإجرامى فى ضوء عوامل مثل حركة السكان والصراع الثقافى والاجتماعى والاقتصادى والعمليات الاجتاعية كالمنافسة والصراع والتقويم الاجتماعى ، والمناخ السياسى والتدرج الإجتماعية ، والواقع الاقتصادى ، والتوجيهات العقائدية والقيمية ، والبناء السكانى وتوزيع السكان سواء من حيث الإقامة أو التعليم أو المهن أو الدخول وأساليب توزيع الثروات ، والهجرات ، وأساليب الاتصال داخل المجتمع ، وأساليب وعمليات التنشئة الاجتماعية .

ويشير «سوذرلاند» إلى أن هذا التحليل للسلوك الانحرافى الذى يعتمد على إحصاءات الجريمة لم يعد مقبولا فى السنين الأخيرة ، بعد فقد الثقة فى الإحصاءات الجنائية لدرجة أن البعض يشير صراحة إلى أن التغيرات فى معدلات الجريمة لا تشير إلى تحولات حقيقية فى السلوك الإجرامى ، وإنما تشير إلى تغيرات فى الإحصاءات

الجنائية ويشير كيث هاريس «فى دراسة له بعنوان» جغرافية الجريمة والعدالة. (K.Harries-1974-4) إلى أن إحصاءات الجرائم المنشورة تعطينا فى أحسن الأحوال صورة تقريبية. وليست صورة واقعية أو دقيقة للجرائم. فهى تعتمد على عدة متغيرات تشكك فى قيمتها منها : رغبة المجنى عليهم ودوافعهم للإبلاغ عما يتعرضون له من جرائم، فقد يقعون تحت ضغط من المجرمين ـ خاصة عندما ينتظمون تحت تنظيم عصابى ـ فيقعون تحت تهديد، وقد يرون أن الأضرار من الإبلاغ عن الجرائم أكثر من الفوائد، وقد يفقدون الثقة فى أجهزة الشرطة والعدالة فى المجتمع. يضاف إلى هذا أن هناك اعتبارات سياسية واجتماعية واقتصادية وأمنية، وشرطية (تتعلق بمهنة الشرطة (ProFessionalism of Police) تحكم تحديد الإحصاءات الجنائية، وقد لا يصل البوليس إلى الكثير من الجناة ولا إلى الجرائم . . . وهناك اعتبارات المكانة والهيبة الاجتماعية لضحايا الإجرام.

ثانيا ـ الربط بين التحليل الاجتماعى للجريمة وبين النظرية العامة للتعليم الاجتماعى. وقد طرح أنصار النظرية الاجتماعية فى تفسير السلوك الإجرامى مجموعة من المفاهيم فى هذا الصدد كالمحاكاة والقيم والدوافع أو محركات السلوك والتعويض والحرمان والعدوان والتنشئة الاجتماعية، وتغير الاتجاهات والقيم، والتحولات السلوكيه والقيمية . . . ومن أهم رواد هذا الاتجاه «جون ديوى» J. Dewy و «جورج ميد» G.Mead (وتشارلس كولى) C. Cooley و «توماس» (Sutherland E. 80. Cressey-1960 ch.3) ويتفق هؤلاء الرواد مع بقية أنصار المدرسة على أن السلوك الإجرامى سلوك متعلم شأنه شأن كل أنواع السلوك الأخرى كالسلوك الاجتماعى والسلوك الحرفى أو المهنى . . . ويذهب «كريسي» إلى أن الصراع الفكرى اليوم بصدد تحديد عوامل السلوك الانحرافى يكمن بين المدرستين الاجتماعية والنفسية، وهو يؤكد على أهمية العاملين معا، وهو ما حاولت عدة نظريات تحقيقه مثل نظرية الاختلاط التفاضلى «لسوذرلاند»، ونظرية التعزيز لـ. ترسلير» (Tresler-1962) ونظرية الانقياد أو الانحراف للجريمة لـ (ماتزا) Sykes' G.and Matza' D- (1957-665) ونظرية الضوابط الداخلية والخارجية (ركلس)

356 -355- (Reckless' W.C-1961) ونظرية الجماعة المرجعية (Haskell and Yablonski - 1978- 390) ونظرية «البيت المفكك» لـ. (جلوك، وجلوك (Glueck's and Glueck' E- 1955) ونظرية «الاغتراب الاجتماعى» لـ (جيفرى) (Jeffery C.-1959- 533- 552) ولعل الاختلاف يكمن فى تحديد الأوزان التى تلعبها كل من الثقافة والشخصية عند تحديد عوامل السلوك الانحرافى. وقد وضع بعض الدارسين مثل «لند سمث» Lind Smith و«دنهام» W.H.Dunham ما يشبه متصلا بين الثقافة والشخصية، بحيث يقع كل منهما على طرف المتصل، وتتأرجح العوامل اقترابا وابتعادا عن كل منهما وهذا يعنى الاعتراف بالمرض النفسى، والمرض الاجتماعى أو الثقافة الانحرافية أو الإطار الاجتماعى الممهد الانحرافى، فى آن واحد.

التصنيف الثانى : وهناك عدة تصنيفات أخرى للنظريات والمدارس المطروحة فى مجال تفسير السلوك الانحرافى أو الإجرامى، منها تصنيف «مارتن هاسكل» و «لويس يابلونسكى» Haskell and Yablonski ويقوم الباحثان بتصنيف الأطر التصورية المطروحة فى التراث إلى مايلى :

أ - نظريات ركزت على خصائص المذنب أو المجرم أو الجانح، وخصائص الثقافة الفرعية التى يعايشها. ويدخل هنا كل نظريات التكوين الجسمى، والتكوين النفسى والثقافة الفرعية.

ب - نظريات حاولت الربط بين الانحراف وبين الخصائص والسياسات المجتمعية على المستوى الأوسع.

ثانيا - عوامل الانحراف والسلوك الإجرامى فى الفكر الإسلامى :

يدرك المتأمل للقرآن الكريم والسنة المطهرة أن الإسلام يقدم تفسيرا متكاملا صادقا للانحراف والجريمة يتضمن العديد من النماذج التفسيرية الوضعية ولكن بشكل أكثر دقة وتحديدا، ويضع كل نموذج فى موقعه الصحيح، ويضيف عوامل

ليس فى حوزة العلوم الوضعية فهمها أو دراستها من خلال المناهج البشرية، وسوف نبدأ بهذا الجانب التفسيرى الأخير.

الهداية من الله والغواية من الشيطان :

يوكد الإسلام أن هناك تلازما بين الإيمان وبين الاستواء والهداية، يقول تعالى «**ومن يؤمن بالله يهد قلبه**» (التغابن ١١) كذلك فإنه يؤكد أن الهداية من الله يقول تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام «**إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء**» (القصص ٥٦) والعامل الأساسى فى الانحراف والإجرام يتمثل فى البعد عن المنهج الإلهى والكفر بالله، يلى ذلك ضعف الإيمان، ويؤكد الإسلام ان الإنسان عندما يرتكب الجرائم الكبرى لا يكون مؤمنا، فعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن» (رواه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى) وهذا يعنى أن مرتكب هذه الجرائم لا يكون حال ارتكابه متصفا بالإيمان لحرمة ذلك وكونه من أسباب سخط الله وعقوبته، فالإيمان يقتضى تجنب المعاصى.

ويؤكد الإسلام أن الغواية والانحراف والإقدام على الجرائم تحدث فى أغلب الحالات بفعل وسوسة الشيطان وإغراءاته. والانحراف يرجع أساسا إلى عصيان أوامر الله، فقد عصى آدم أوامر ربه فى الجنة. قال تعالى : «**فوسوس إليه الشيطان قال ياآدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى، فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى**» (طه ١٢١) فغواية آدم وعصيانه لله تمت بفعل وسوسة الشيطان الذى حاول التأثير فى آدم من مداخل التطلع إلى الخلود والملك الذى لا يبلى. ومن رحمة الله بآدم أنه سبحانه وتعالى اجتباه وتاب عليه وهدى «**ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى**» (طه ١٢٢) والسلوك الإجرامى الذى يتم تحت تأثير الشهوة والحقد والطمع والاستجابة للشيطان قديم قدم الجنس البشرى على الأرض فأول جريمة كانت قتل قابيل لهابيل.

وقد عالج المفكرون فى الغرب موضوع وسوسة الشيطان كعامل أساس للانحراف تحت تأثير الفكر المسيحى، وهى معالجات تتفق فى بعض الجوانب مع حقائق الإسلام كما تختلف عنها فى جوانب أخرى كثيرة، ويشير بعض الدارسين (Haskell et-al 1978- 365) إلى أن ما اطلق عليه «نظرية الشيطان Demon theory ساد الاعتقاد فيها على مدى عصور طويلة وتبعتها نظرية الاستحواز Theory of Posession أى الاعتقاد أن الأرواح الشريرة تستحوذ على المجرم وتجبره على تنفيذ إرادتها الشريرة. وقد أحدثت نظريات الشياطين Theories of Demondogy ونظريات الفسوق الطبيعى Natural Desparity أثرا كبيرا على الممارسات القانونية فى أوربا حتى القرن التاسع عشر، وماتزال مؤثرة حتى اليوم فى الغرب لارتباطها بالفكرة المسيحية التى يطلق عليها «الخطيئة(*)». وهى فكرة تختلف تماما عن الحقائق الإسلامية فى هذا الصدد. وقد ظهرت بعض الدراسات فى الغرب حول العلاقة بين غواية الشيطان وبين الانحراف الفكرى والسلوكى. مثال هذا دراسة «جون نارفون» J. Narvon الأستاذ بالجامعة الجريجورية فى روما Gergorian University عن العلاقة بين غواية الشيطان وتعاطى المخدرات، خلص منها إلى ان مدمنى المخدارات ليسوا إلا تلاميذ الشيطان وأعوانه

* هذه الفكرة غير حقيقية من المنظور الإسلامى، فإذا كان آدم قد عصى ربه، فقد اجتباه ربه وتاب عليه وهدى. وقد استمرت المحاكم الأوربية لفترة طويلة تنص فى أحكامها على أثر غواية الشيطان فى رفع الناس إلى الجرائم. فقد أصدرت المحكمة العليا الأمريكية حكما سنة ١٨٦٢ ينص على أن فعل الخطأ ينجم عن إرادة الانحراف والغواية بفعل الشيطان (Haskell-1978 - 653) ويرى «بابلونسكى» ان هذه الأفكار حول أثر الشيطان على الجريمة والغواية والانحراف، ما تزال سائدة فى العالم الغربى، وهو أمر تعكسه بعض التعبيرات الشائعة هناك مثل «إنه ممتلىء بالروح الشيطانية». He is Full of the Devil وقول بعض رجال الدين «إننى سوف أخلصك من الشيطان الذى يسكن داخلك).

وقول البابا بول السادس فى حديثه الأسبوعى فى ١٩٧٢/١١/٢٩م إن الشيطان يتحكم فى المجتمعات من خلال عدة عوامل أهمها الجنس والمخدرات والانحرافات العقائدية وإن الشيطان يؤدى باستمرار إلى الانحراف (Hoskell et -al -1978-366) وقد كانت التهم التى توجه إلى المجرمين فى أوربا خلال القرون الوسطى وبداية العصرلا الحديث لا تقتصرلا على خرق القانون، ولكن أيضا عدم خشية الله والخشوع لغواية الشيطان.

(Haskell-et-al -1978-366) Aprentices of the devil

ومن الغريب أن غالبية المشتغلين بعلم الإجرام فى الغرب ينظرون إلى ربط الانحراف بإغواء الشيطان على أنها فكرة زائفة، فهذا للأسف ما يقوله كبار علماء الجريمة فى الغرب مثل «هاسكل» و «يابلونسكى» و «سوذرلاند» و «كريسى». (Sutherland-et- al- 1960 ch.3) فقد ذهب الباحثان الأخيران إلى أن الدراسات المنهجية لأسباب وعوامل ظهور السلوك الإجرامى تعد حديثة نسبيا، وأنه ظهرت مجموعة من التفسيرات خلال القرون الوسطى وبداية العصور الحديثه، اتضح من الدراسات المعاصرة أنها زائفة، وهى تلك التى تربط بين الجرائم وغواية الشيطان وهذا هو نفس ما يردده «هاسكل» وزميله «يابلونسكى» حيث يقولان إنه على الرغم من عدم علمية هذه الفكرة، إلا أنها ما تزال تؤثر فى مجتمعات الغرب خاصة عند من يطلق عليهم رجال الدين المسيحى. وكثيرا ما تبرز هذه الفكرة فى الأعمال الأدبية والسينمائية فى الغرب، كما هو الحال فى الفيلم الشهير «طارد الأرواح الشريرة. The Exorrcists وهذا فى رأيهما ما يبقى الفكرة حية فى أذهان أبناء المجتمعات الغربية.

والواقع ان حقيقة وجود الشيطان ووسوسته للإنسان ومحاولاته لغوايته ودفعه للانحراف بشتى صورة وأشكاله حقيقة لامراء فيها أثبتتها كل الديانات المنزلة ويؤكدها القرآن الكريم فى قوله تعالى : «**الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء** . . . » الآية (البقرة ٢٦٨) ويقول تعالى : «**إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير**» (فاطر ٦). ويؤكد الرسول عليه الصلاة والسلام أن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فى العروق. (مسلم ص ١٧١٢ حديث ٢٤/٢١٧٥) وقد أخطأ علماء الجريمة فى الغرب عندما رفضوا فكرة وجود الشيطان استناد إلى أنها غير خاضعة للتحقيق التجريبى والدراسات الواقعية. فالواقع أن المناهج الوضعية مناهج عاجزة قاصرة عن الوصول إلى العديد من الحقائق الكبرى، وليس العلم التجريبى سوى أحد مصادر المعرفة، وتتسم المعرفة فى هذا العلم بالنسبية والحسية والتغير والبعد عن اليقين والقابلية للتكذيب. ويشير بعض علماء المناهج مثل «والترووالاس» (Walter Wallace- 1979- 11-12 إلى أن هناك على

الأقل أربعة أساليب للحصول على المعارف والمعلومات وتحقيقها وهى الأسلوب السلطوى Authoritarian والأسلوب السحرى Mistical والأسلوب العقلى المنطقى Rational والأسلوب العلمى Scientific وتختلف هذه الأساليب من حيث الإجابة على الأسئلة التالية: ما مصدر المعلومات، وما منهج التوصل إليها؟ وما أثر هذه المعارف على سلوك الناس وعلى فكرهم؟ وعلى أى حال تستطيع التمييز ابتداء بين المعارف الوضعية، وبين الحقائق اليقينية المطلقه والصادقه المستمده من الكتاب والسنة. ومن الغريب والعجيب أن «والاس» يدخل الإيمان بالله والكائنات المجاوزه للطبيعة (حسب تعبيره) ضمن النماذج السلطوية والسحرية للمعرفة (Wallace -W- 1979- 12) وهذا خطأ فادح، فالحقائق المستمدة من الكتاب والسنة حقائق مطلقه لأن هذين المصدرين فى مقدمه الأدلة الشرعية فى الإسلام (خلاف، عبدالوهاب - ١٩٥٦ - ٢٠ - ٩٤).

وهناك العديد من الحقائق اليقينية ليست فى متناول العلوم الوضعية دراستها من خلال المناهج الاستقرائية مثل حقيقة وجود الشيطان، وحقيقة العين، وحقيقة الحسد، وحقيقة الإنسان، وحقيقة خلقه، وسبب خلقه، ورسالته فى الحياة الدنيا. ولا سبيل لنا لمعرفتها إلا من المصادر الأساسية اليقينية الإسلامية. وهناك بعض الحقائق الإسلامية بصدد وسوسة الشيطان وهوى النفس كمصدرين أساسين للانحراف والسلوك الإجرامى نوجزها فيما يلى (السمالوطى، نبيل - ١٩٨٣ - ٢٨٥ - ٣٠٣):

أولا - خلق الله سبحانه وتعالى النفس الإنسانية وألهمها فجورها وتقواها ومنح الإنسان حرية الاختيار وكرمه بنعمة العقل للتمييز بين الخير والشر.

ثانيا - من رحمة الله بالعباد أن زودهم بالفطرة السوية والعقل المميز وأنزل إليهم الأنبياء. وأيدهم بالمعجزات، وأرسل إليهم الكتب توضح لهم المنهج المستقيم.

ثالثا - هناك جانب فى النفس وهو النفس الأمارة بالسوء، وهى التى تستجيب

لإغواء الشيطان. وهذان العاملان ـ فى غيبة الإيمان القوى الصحيح ـ يعدان مصدرا أساسيا للانحراف بشتى صوره ومجالاته.

رابعا ـ يتخذ الشيطان أساليب كثيرة لدفع الإنسان للانحراف. قال تعالى: «**قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم. ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين**» (الأعراف ١٦، ١٧) وقال تعالى: «**لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا، ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله. ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا. يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا**». (النساء ١١٨ ـ ١٢٠) وبهذا يكون الشيطان قد التزم فى عداوته للإنسان سبعة أمور وأساليب (حتاته، محمد نيازى ١٩٧٥ ـ ١٥).

خامسا ـ اقتضت حكمة الله أن تكون وسوسة الشيطان للإنسان اختبارا لعزمه وقوة إيمانه وصلابة عقيدته. وينقسم الناس بهذا الصدد إلى حزبين، حزب الله وهم المفلحون، وحزب الشيطان وهم الخاسرون. يقول تعالى: «**ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين وماكان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك وربك على كل شىء حفيظ**»». (سبأ ٢١) ويقول تعالى: «**ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون**» (المجادلة ـ ١٩).

سادسا ـ يحرك الشيطان نوازع الشر والجريمة عند الإنسان من خلال خواطر ووجدانات ورغبات تتحرك داخل الإنسان وتدفعه للسلوك الانحرافى (حتاته ـ ١٩٧٥).

سابعا ـ خلق الله النفس مفطورة على الخير والشر يقول تعالى: «**ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها**..» الآية. (الشمس ٧ ـ ١٠) ولكل إنسان شيطان لاختبار صدق إيمانه. عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مامنكم من أحد إلا وله شيطان» قالوا وأنت يارسول الله ؟ قال وأنا «إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم فلا يأمر إلا بخير».

يقول فخر الدين الرازى : من انحرف وغلبه هواه صار كالبهيمة وهم من قصدهم الله بقوله «**من يهدى الله فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون**» (الأعراف ١٧٨).

ثامنا ـ شرع الله الاستعـاذه من الشيطان ومقاومته واللجوء إلى الله لمحاربته يقول تعالى : «**وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله**» (فصلت ٣٦) كذلك فقد شرح الله التوبة والاستغفار للتخلص من الانحراف والعودة إلى الطريق المستقيم قال تعالى : «**من يعمل سوءا، أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما**» (النساء ١١٠).

الإسلام والتفسير الاجتماعى والثقافى للانحراف والجريمة

أكد الاسلام قبل كل المدارس الاجتماعية الحديثة أثر البيئة الاجتماعية والثقافية فى تشكيل فكر واتجاهات وقيم وسلوكيات الإنسان، وبالتالى فى استوائه وانحرافه قال عليه السـلام «كـل مولـود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» (البخارى جـ ٢ ص ٩٥ باب ٧ فى عذاب القبر «وقال عليه السلام «كل إنسان تلده أمه على الفطره (صحيح مسلم ٢٠٤٨) ويشير القرآن الكريم إلى أثر البيئة الفاسدة فى غرس الرذائل فى قوله تعالى : «**وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون**»(البقرة ١٧٠) وينعى القـرآن على المقلدين عدم تحكيم عقـولهم فى العـديد من الآيات الكريمة كما ينبه الإسـلام إلى الأثـر الهـام للصحبـة على فكر وسلوك الإنسان، يقول عليه الصلاة والسلام «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل». (أبوداود والترمذى والحاكم) ومن حديث أبى هريره. قال عليه الصلاة والسلام «مثل الجليس الصالح وجليس السـوء كحـامل المسك ونافخ الكير. .» الحديث. (متفق عليه) وقال عليه الصلاة والسلام «لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقى» (رواه أبو داود والترمذى بإسناد لابأس به). ويقول تعالى فى سورة الكهف : «**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا**»(الكهف ٢٨) ويقول الفقيه

أبو الليث «من جلس مع ثمانية أصناف من الناس زاده الله ثمانية أشياء :

١ ـ من جلس مع الأغنياء زاده الله حب الدنيا والرغبة فيها .

٢ ـ ومن جلس مع الفقراء جعل الله له الشكر والرضا بقسمة الله .

٢ ـ ومن جلس مع السلطان زاده الله القسوة والكبر.

٤ ـ ومن جلس مع النساء زاده الله الجهل والشهوة .

٥ ـ ومن جلس مع الصبيان ازداد اللهو والمزاح .

٦ ـ ومن جلس مع الفساق زداد من الجرأة على الذنوب وتسويف التوبة .

٧ ـ ومن جلس مع الصالحين ازداد رغبة فى الطاعات .

٨ ـ ومن جلس مع العلماء ازداد العلم والورع (النووى، محى الدين ـ بدون تاريخ ١٧١) .

ويؤكد الإسلام أثر المناخ الاجتماعى والثقافى العام داخل المجتمع على الاستواء والانحراف ولهذا نجد أن الإسلام يحارب كل ما من شأنه دفع الناس وحثهم على الانحراف من خلال مجموعه من التنظيمات والإجراءات البنائية ـ الوقائية والعلاجية فى أن واحد وأهم هذه التنظيمات مايلى :

١ ـ تحريم التبرج، فالتبرج أحد العوامل الدافعة لارتكاب الانحراف، ويقصد به أن تظهر المرأة للرجال الأجانب (غير المحارم) ما يوجب عليها الشرع ان تستره من زينتها ومحاسنها (الجار الله، عبدالله ـ ١٤٠٧ ـ ١١) والتبرج محرم بنص الكتاب والسنة. قال تعالى : «**ولا تبرجن تبرج الجاهليه الأولى**» (الأحزاب ٣٣) وقال عليه السلام «المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان» (رواه البراز والترمذى) وقال تعالى : «**ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها**» (النور ٣١) وتطلق الزينة على الجميل من الملابس والحلى وكل مظاهر التجميل. والمقصود بـ «ما ظهر منها» مالا يمكن إخفاؤه كالثياب الظاهرة والعباءة أو ما ظهر دون قصد.

ويشير الإمام القرطبى (القرطبى، ابو عبدالله محمد بن أحمد ـ المجلد ٦ ـ ٢٢٧)

إلى إن معنى هذه الآية انه «لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تبدى زينتها إلا لمن تحل له أو لمن هو محرم عليها على التأبيد، فهو آمن من أن يتحرك طبعه إليها لوقوع اليأس له منها». وقد جاء فى الصحيحين عنه عليه السلام أنه «صرف وجه الفضل عن الخثعمية حين سألته وطفق الفضل ينظر إليها وقال عليه السلام «الغيرة من الإيمان والمذاء من النفاق» (متفق عليه) (القرطبى - مجلد ٦ - ٢٢٧) وقد روى الترمذى عن نبهان مولى أم سلمة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لها ولميمونه وقد دخل عليهما ابن أم مكتوم : «أحتجبا» فقالتا «إنه أعمى» قال «افعمياوتان انتما ألستما تبصرانه ؟». وقد اختلف العلماء فى تفسير «ما ظهر منها - فقال ابن مسعود «ظاهر الزينة هو الثياب» وزاد ابن جبير الوجه. وقال سعيد بن جيد أيضا وعطاء الأوزاعى «الوجه والكفان والثياب (القرطبى ج ٦ - ٢٢٨) وقد كان ظهور الوجه والكفين عادة وعبادة فى الصلاة والحج - فيصح أن يكون الاستثناء راجع إليهما وقد روى أبو داود أن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما دخلت دخلت على الرسول صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها الرسول عليه السلام وقال لها «ياأسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصح أن يرى منها إلا هذا» وأشار إلى وجهه وكفيه» (رواه أبوداود((الطبرى - جـ ٦ - ٢٢٨) وقال ابن خويز إن المرأة إذا كانت جميله، وخيف من وجهها وكفيها الفتنة فعليها ستر ذلك (الطبرى - جـ ٦ - ٢٢٨).

٢ - منع الاختلاط لأنه مدعاة للانحراف ويدخل فيه الخلوة بالأجنبية وأن هذه الخلوه من الأسباب الممهدة والميسرة لارتكاب الفاحشه لقوله عليه السلام «لا يخلون رجل وامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما» (رواه أحمد والترمذى والحاكم وصححه). وقال عليه السلام «لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذى محرم» (متفق عليه) ومن محاربة الاختلاط الفصل بين الأخوة والأخوات فى المضاجع بعد سن معينة.

٣ - الحض على الحياء وغض البصر. فالتبجح وتتبع العورات أحد عوامل الانحراف لهذا يأمرنا الإسلام بغض البصر فى قوله تعالى «**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات**

يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن . . » (النور ٣٠ ـ ٣١) وسبب تحريم السفور والاختلاط والأمر بغض البصر أن هذه العوامل تيسر الفاحشه وتؤدى إلى عدم الزواج والسفاح وظهور جرائم الاغتصاب وتؤدى إلى تفكك الأسر والطلاق وتشرد الأبناء وفقد الأسرة لوظائفها وهى السكن والمودة والرحمة . . وهى تؤدى إلى سخط الله وعذابه فى الآخره.

٤ ـ تحريم الغيبة والنميمة والتجسس وسخرية الناس بعضهم من بعض، لأن هذه الممارسات السيئة تؤدى إلى شيوع الحقد والعدوانية والصراع والانحراف. يقول تعالى : «**يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم . . .** » الآيه (الحجرات ١١) ويقول تعالى : «**ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا . .** » الآية (الحجرات ١٢).

٥ ـ تحديد مجالات معينة لعمل المرأة، ووضع الضوابط لخروجها سواء للتعليم أو العمل فالمرأة عورة، ولها طبيعة تختلف عن الرجال ـ كالحيض والحمل والولادة والنفاس والرضاعة والحضانة والتركيب الجسمى. وهناك أدلة على عدم مشروعية عمل المرأة خارج بيتها، وإن حدث فيجب مراعاة الضوابط الشرعية : الحجاب الشرعى، وتحريم السفور والاختلاط والتبرج ويجب أن تتفرغ المرأة لأداء أهم الوظائف وهى خدمة زوجها وتربية أبنائها تربية سليمه فاضلة، وهذا أساس بناء المجتمع الفاضل. وإذا كانت هناك ضرورة لخروجها للعمل فالضرورة تقدر بقدرها.

٦ ـ التمسك بالقيم والأخلاق الإسلامية، فكل ألوان الانحراف تنجم عن غياب هذه القيم والأخلاقيات. وفى مقدمة القيم المانعة من الانحرافات الظاهرة والباطنة مراقبة الله فى السر والعلن وتربية الضمير الإنسانى والصبر والإخلاص والتماس الأعذار للناس وكظم الغيظ وعدم الغضب والجود والعدل وعدم التباغض والتحاسد أو التناجش (النووى ـ بدون تاريخ) والآيات والأحاديث فى هذا الصدد كثيرة.

٧ ـ حفظ العقل. فغياب العقل أحد العوامل الأساسية للانحراف، لهذا يحرم

الإسلام الخمر، وكل ما يغيب العقل. فعن عبدالله بن عمرو أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «الخمر أم الخبائث» (سابق، سيد ـ ١٩٨٥ ـ جـ ٨ ـ ٢١) وقد أخرج مسلم عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام» (رواه مسلم حديث رقم ٧٤ ـ ٢٠٠٢ الجزء الثالث) ويقاس على الخمر كل المخدرات الأخرى ـ وقد جعل الله جريمة شرب الخمر من جرائم الحدود التى يغلب فيها حق الله .

٨ ـ يدعو الإسلام المؤمنين إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وعدم السكوت عن الحق. فأحد عوامل شيوع الانحرافات سكوت الناس عن المنكرات خوفا أو نتيجة للامبالاة واليأس من الإصلاح، مما يؤدى إلى تمادى المنحرفين وظهور انحرافات جديدة واستحق بنو إسرائيل لعنة الله لأنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه. يقول تعالى : «**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . . .**» الآية. (آل عمران ١٠٤) فالإسلام يحارب السلبية والانعزالية والتفكك ويحقق التضامن الاجتماعى والأخلاقى داخل المجتمع.

٩ ـ يقيم الإسلام نظاما محكما للجزاءات. فضعف الجزاءات قد يكون عاملا فى إقدام بعض ضعاف النفوس على الانحراف تحت دافع الطمع والجشع. وتصنف الشريعة الإسلامية العقوبات إلى ثلاثة أقسام، الحدود، والقصاص والدية، والتعزير. (أبو زهرة ـ محمد١٩٧٦ ـ ٦٦ ـ ١٢٣) والنوعان الأول والثانى جرائم محددة ومقدرة شرعا فصل فيها الشرع بالتفصيل من حيث نوع الفعل والأركان العامة والخاصة وطرق الإثبات والعقوبة المحددة لكل جريمة. أما جرائم التعزير لولى الأمر أن يقدرها حسب الظروف وبما يحقق صالح الجماعة والفرد فى ضوء الضوابط الشرعية. والعقوبة فى الإسلام هى أذى شرع لدفع المفاسد. ودفع الفساد فى ذاته مصلحة وهو مقدم على جلب المنافع (أبو زهرة، محمد ـ ١٩٧٤ ـ ٦ ـ ١٠) وهناك ثلاثة اعتبارات جوهرية تأخذها الشريعة عند تحديد الجريمة والعقاب وهى :

أ ـ مقدار الأذى الذى ينزل بالمجنى عليه.

ب ـ مقدار الترويع والإفزاع العام الذى تحدثه الجريمة.

جـ - مقدار مافى الجريمة من اعتداء وهتك لحمى القيم والأخلاق وفضائل الإسلام.

وتراعى الشريعة فى ضرورة تحقيق العقوبة وظائف الزجر والردع للآخرين (عودة عبدالقادر - بدون تاريخ - جـ ١). وأبشع أنواع الجرائم الحدود، وهى العقوبات المقدرة حقا لله ولا يوجد لها حد أدنى وحد أعلى، ولا يمكن للقاضى أو ولى الأمر أو المجنى عليه إسقاطها أو التخفيف منها متى ثبتت شرعا (النبهان، فاروق - ١٣٩٤ - ٤٢٦ - ٤٢٧) والحدود موانع قبل الفعل زواجر بعده. أما جرائم القصاص هى مفروضه على الاعتداء على العباد، وأساسها المساواة بين ما وقع من الجانى بالفعل، وما يناله من عقابب. والقصاص هو العقوبة الأصلية للجرائم العمدية، والدية هى العقوبة البديلة، والدية هى العقوبة الأصلية فى جرائم القتل أو الجرح الخطأ لا نتفاء القصد الجنائى ومن رحمة الله أن الشريعة جعلت الحق الوحيد للعفو هنا للمجنى عليه أو ولى الدم.

١٠ - يهتم الإسلام برعاية الأطفال والشباب وقد رسم لذلك سياسة تربوية ومنهجا واضحا من أجل ضمان إعدادهم القيمى والعقائدى والأخلاقى وبالتالى استوائهم السلوكى. وهناك من الدارسين مثل «إيرمان ميرجر E. Merger (السمالوطى - ١٩٨٣ - ٢٤٩) من يؤكد أن إهمال تربية ورعاية الشباب يعرضهم للضياع وبالتالى الإقدام على السلوك الإجرامى، وأن هناك علاقه سلبية بين معدلات الجريمة وحجم تكامل الشباب مع مجتمعهم وتحديد مواقعهم بشكل جيد، فإذا لم يخطط لإعدادهم وتزويدهم بمضامين تربوية وثقافية مخططة سوف يحاولون إيجاد ثقافة خاصة بهم وغالبا ما تكون ثقافة انحرافيه. ويؤكد الدارسون أهمية تحقيق الالتقاء بين ثقافة الأجيال تجنبا للصراع والانحراف، وهذا ما يؤكده الإسلام. فقد وضع الإسلام منهجا متميزا لإعداد الشباب عقائديا وفكريا ونفسيا وجسميا وثقافيا ، ووضع معايير محدده لذلك فصلها القرآن الكريم. فهناك خصائص عباد الرحمن كما فصلتها سورة الفرقان، وهناك منهج التربية كما جاء فى سورة لقمان. وأساس الشخصية الإسلامية إرساء العقائد والقيم والأخلاقيات، وتكوين الضمير الإنسانى ومراقبه الله فى السر والعلن.

وهذا خير عاصم من الانحراف. ويؤكد منهج إعداد الشباب فى الإسلام على تربيتهم خلال مرحلة الطفولة على التقوى والتواضع والإخلاص والأخوة وتكريم الوالدين وطاعتهما فى غير معصيه، وخفض الصوت والقصد فى المشى ونبذ الشرك وأهله والعفه، وحب العلم والجهاد والسعى للرزق الحلال والزواج المبكر، واختيار الزوجة على أساس معيار الدين والصلاح وليس الغنى والحسب والنسب، واختيار الزوج من جانب ولى أمر الشابة على أساس الدين والخلق، وقد حدد المنهج الإسلامى مراحل معينه لاعداد الطفل إعداد إسلاميا على أساس أن إعداد الشباب الصالح يبدأ من مرحله الطفولة. قال عليه السلام «مروا الصبى للصلاة إذا بلغ سبع سنين، وإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها» (سنن ابو داود - جـ ١ - ص ٣٣٢ - حديث رقم ٤٩٤).

وقد أوجبت الشريعة الإسلامية حسن اختيار الأسماء، وأوصى عليه السلام بالشباب قال عليه السلام «أوصيكم بالشباب خيرا فإنهم أرق أفئده، لقد بعثنى الله بالحنيفية السمحة فحالفنى الشباب وخالفنى الشيوخ» (رواه البخارى). ويؤكد الإسلام على أهميه الإعداد العقائدى والقيمى والأخلاقى للشباب، وإعدادهم اجتماعيا ومهنيا وعلميا كذلك وهذا يعنى الإعداد المتكامل لهم.

١١ - يؤكد الإسلام على أهميه رعاية بعض الفئات الخاصة رعاية تنطلق من الإيمان والعقيدة نتيجة لظروفها الخاصة، ونتيجة لما ينجم عن إهمالها من خطورة على المجتمع وعلى أنفسهم نظرا لتعرضهم للانحراف والجريمة. وأهم هذه الفئات الفقراء والمساكين والأيتام.. وقد وضع الإسلام حلولا جذرية لمواجهة مشكلات الفقراء والمساكين فالقادرون منهم على العمل يجب على الحاكم إيجاد فرص عمل شريف لهم وفتح أبواب الرزق أمامهم كواجب على الدولة الإسلامية. كذلك فقد فرض الإسلام الزكاة وواجبات التكافل الاجتماعى، وحقهم فى بيت المال وحقهم فى أموال الاغنياء فى حالة عدم كفاية أموال الزكاة لسد احتياجاتهم، وهذا ما تحدث عنه فقهاء المسلمين تحت عنوان «حق الكفاية للفقير والمسكين» (القرضاوى، يوسف - ١٩٨٥ - ١٢٠ - ١٢١) وتعد فريضة الزكاة الإسلامية أول تشريع منظم للضمان الاجتماعى الحقيقى

الذى لا يعتمد على الإحسان والصدقات الطوعية. على أساس أنها حق مقدر للفقراء والمساكين سواء المسلمين أو الذميين الذين يعيشون داخل الدولة الإسلامية. ونظام الضمان الاجتماعى الذى حاولت دول الغرب الأخذ به منذ سنة ١٩٤١ لا يصل بحال إلى مستوى ضمان الإسلام سواء فى منطلقاته أو أهدافه أو وسائله أو القيم التى يقوم عليها، كما لم يصل إلى تحقيق الكفاية الكاملة لمستحقى الضمان وأسرهم. فمنطلقات الضمان الوضعى الخوف من آثار الصراع والاستغلال التى يعانى منها قطاع كبير فى المجتمع الغربى بعد حدوث التحولات اللبرالية هناك، والخوف من انتشار الأفكار الهدامة التى تحملها المذاهب الاشتراكية والفوضوية، والإلحادية المدمرة، ولم يظهر ذلك الضمان بشكل برامج إلا بعد الحرب العالمية الثانية. أما الضمان الاجتماعى فى الإسلام فهو فريضة تنطلق من منطلقات عقائدية، وهى قربى إلى الله ورحمة بالضعفاء، ولا تستهدف تحقيق أهداف سياسية أو مصلحية كما هو الحال بالنسبة للضمان الاجتماعى الوضعى فى الشرق أو الغرب (القرضاوى - ١٨٥ - ١٠٦) أما اليتيم وهو الذى فقد أباه لوفاته وحتى بلوغا الحلم : يقول عليه السلام «لا يتم بعد احتلام» (آخرجه أبوداود) فقد تغير وضعه بعد الإسلام، كان اليتم قبل الإسلام عارا ومذلة، فأصبح بعد الإسلام وضعا طبيعيا يستوجب الرعاية والعناية. ويكفى اليتامى فخرا أن الرسول عليه السلام أشرف الخلق كان يتيما «**ألم يجدك يتيما فآوى**» (الضحى ٦) وقد أمر الإسلام بحسن معاملة اليتيم وكفالته وحفظ حقوقه وصيانه أمواله وتنميتها حتى لا تأكلها الصدقة. وتوعد آكل أموال اليتامى أو الإساءة إليهم. فقد روى سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما. (أخرجه البخارى والترمذى وأبو داود). وقد أوجب الإسلام إعطاء اليتامى من القسمة إذا حضروها رعاية لهم وبرا بهم وتجنبا للإساءة إليهم (أرجع للآية ٨ من سورة النساء) وجعل لهم نصيبا مفروضا فى الغنائم (ارجع للآية ٤١ الأنفال) وجاء فى القرآن أن من يأكل مال اليتيم يأكل في بطنة نارا وسيصلى سعير (ارجع للآية ١٠ النساء) وعلى كافل اليتيم فى الإسلام أن يتعفف إن كان غنيا، وأن يأكل بالمعروف إن كان محتاجا (ارجع إلى سورة النساء ٦) ويجب عليه تسليم أموال اليتيم إليه إذا كبر كاملة. . كل هذه الجوانب

وغيرها من رعاية اليتيم تنطلق من منطلقات عقائدية وقيمية وتؤدى وظائف دينية واجتماعية مهمة من بينها تحقيق المجتمع المتكامل وتجنب انحراف هذه الفئة من فئات المجتمع.

١٢ - ينهى الاسلام عن الظلم والتسلط والتفرقة العنصرية، وهى عوامل أساسية تحدث عنها علماء الجريمة على أنها دوافع كبرى للانحراف والجريمة. فالعديد من الانحرافات والجرائم تنجم عن التفرقه العنصرية، وعن الشعور بالظلم، وعن الشعور بالإحباط، وعن التفاوت الشاع بين الناس فى الغنى الفاحش والفقر المدقع وتشير الدراسات إلى أن هذه العوامل وراء العديد من جرائم الشغب والعنف فى المجتمعات (عيسى، حسن - ١٩٨٠ - ٧) ويرى (عيسى) أن «العنف وإحداث الشغب أصبحا من السمات المميزه لعالمنا المعاصر» وهذه الجرائم لها آثارها السلبية على المجتمعات. ومثلا فى كوريا انخفض معدل النمو الاقتصادى ٤٪ نتيجة أحداث العنف (إضراب الطلبه تظاهراتهم خلال الفترة من ١٩٧٩/١٠/٢٦ حتى ١٩٨٠/١٠/٣٠) (عيسى - ١٩٨٠ - ٧) وينتشر هذا النمط من الإجرام السياسى فى المجتمعات البعيدة عن المنهج الإلهى والتى تطبق نظما وضعية، بسبب ما تؤدى إليه هذه النظم من تفرقة عنصرية وطبقية وشعور بالظلم لدى قطاعات كبيرة من المجتمع «وللإسلام موقفه الواضح من هذه القضايا. فالناس كلهم انحدروا من آدم عليه السلام، وآدم من تراب. ولا فضل لعربى على عجمى، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى. يقول تعالى: «**يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء**» (النساء ١) فالإسلام ينبذ التفرقة العنصرية أو الاقتصادية أو الاجتماعية ومعايير التمايز بين الناس التقوى والعلم للصالح والعمل الصالح. ويؤكد الإسلام على تحريم الظلم وإقامه العدل. والأدلة فى هذا الشأن عديدة منها قوله تعالى: «**أعدلوا هو أقرب للتقوى**» (المائدة ٨) وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وماولوا» (رواه مسلم ص ١٤٥٨ حديث رقم

١٨٢٨) والمجتمع الإسلامى يحقق المصالح سواء علم الناس بها أو لم يعلموا، وهى حفظ الدين، والعقل والعرض، والنفس، والمال، ويقضى على مشكلة التفاوت الاقتصادى بين الناس من خلال أساليب كفيلة بتحقيق العدالة أهمها فريضة الزكاة وواجبات التكافل الاجتماعى، والصدقات الطوعية، والميراث. . والمتأمل للنظام السياسى الإسلامى يجد أنه يقضى على كل عوامل الجريمة الساسية (العنف والشعب . . الخ) لأنه يقوم على العدل والمساوة ورفع الظلم والشورى وتحقيق المصالح للناس جميعا ونبذ التفرقة العنصرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية. . ، إلى جانب أنه يحقق التنمية بكل أبعادها الروحية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية. . من منطلقات إيجابية (السمالوطى، نبيل ١٩٨٨ ـ ٣٢٢ ـ ٣٤٤).

وبعد أن أرسى الإسلام دعائم مجتمع يسوده العدل والكفاية والمساواة والإخاء والتكامل والنمو والشورى فى إطار إيجابى شامل، يقرر الإسلام نظاما محكما للجزاءات ويحدد أقصى العقوبات لما يطلق عليه الآن جرائم العنف والإرهاب، وقد وضعها الإسلام ضمن جرائم الحدود وهى الحرابة، قال تعالى : «**انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض . . .**» الآية. (المائدة ٣٣ ـ ٣٤) فالحرابة هى إعلان للحرب على أمة المسلمين ومرتكبوها يحاربون الله ورسوله لأنهم يحاربون شرعه بترويع الآمنين وقطع الطريق على المسلمين لسلب أموالهم وأمتعتهم (أبوز هرة. محمد ١٩٧٤ ـ ١٥٤) وهناك جريمة البغى التى تدخل ضمن ما يطلق عليه اليوم الجرائم السياسية، وجريمة البغى هى الخروج على من تثبت إمامته فى غير معصية بمغالبته ولو تأويلا. والبغاء عند الحنابلة هم الخارجون على إمام ولو غير عدل بتأويل سائغ ولهم شوكة ولو لم يكن فيهم مطاع، وأهم أركان البغى : أولا : الخروج على الإمام، ثانيا : أن يكون الخروج مغالبة، ثالثا : توافر القصد الجنائى . وتكتفى الشريعة فى جريمة البغى وهى من جرائم العنف بإباحه دماء البغاة وأموالهم بالقدر الذى يقتضيه ردعهم والتغلب عليهم وردهم إلى الطاعة. (عودة عبدالقادر ـ بدون تاريخ ـ ٦٧٤ ـ ٧٠٥).

الإسلام والتفسير البيئى للانحراف والسلوك الإجرامى :

يؤكد الإسلام حقيقة جوهر الإنسان، فهو مخلوق من الأرض أو التراب أو من صلصال من حمأ مسنون، ومن نفخة من روح الله. يقول تعالى «**وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون. فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين**» (الحجر ٢٨ ، ٢٩) ويؤكد الإسلام حقيقة ارتباط الإنسان بالأرض وعيشه عليها. يقول تعالى : «**ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنالكم فيها معايش**» (الأعراف ١٠) ويقول تعالى : «**منها خلقانكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى**» (طه ٥٥). وقال تعالى : «**والله أنبتكم من الأرض نباتا. ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا. والله جعل لكم الأرض بساطا لتسلكو منها سبلا فجاجا**». (نوح ١٧ - ٢٠) وقد اقتضت حكمة الله أن يخلق الإنسان من جانبين، الجانب الترابى، وهو أساس الشهوات والتطلعات المادية، والجانب الروحى وهو أساس سمو الإنسان وتكريم الله له. وجاء فى القرطبى (القرطبى، ابو عبدالله محمد بن احمد الأنصارى - ١٩٦٧ - جـ ٢٢١ - ٢٦٣) عن ابن مسعود وابن عباس وجميع أهل التأويل أن آدم عليه السلام هو خليفة الله فى إمضاء أحكامه وأوامره لأنه أول رسول إلى الأرض. وسمى آدم - كما قال «سعيد بن جيد (القرطبى - ١٩٦٧ - ٢٧٩) لأنه خلق من أديم الإرض. وقيل إن الله أرسل ملك الموت أتى له بتراب من أماكن مختلفة من الأرض - وبله حتى عاد طيناً لاذبا وتركه حتى أنتن حيث يقول «**من حمأ مسنون**»، وخلقه الله بيديه حتى لا يتكبر إبليس عليه. ثم نفخ فيه الروح فدخل الروح من رأسه فعطس. فقالت له الملائكة «قل الحمد لله» فلما دخل الروح في عينه نظر إلى ثمار الجنة، ولما دخل جوفه اشتهى الطعام (القرطبى - ١٩٦٧ - ٢٨١) وقد اقتضت حكمة الله تحقيق إشباع حاجات هذين الجانبين للإنسان بشكل متوازن بعيد عن التطرف من إفراط وتفريط، ومن خلال التعادلية الإسلامية الدقيقه بضوابطها وتنظيمها الإلهى الدقيق. وينجم الانحراف إذا طغى الجانب الترابى الشهوى، وحاول الإنسان إشباع شهواته دون تقيد بهذه الضوابط الإسلامية التى تكفل سلامة التوجه والسلوك والنتائج. وقد شبه الله سبحانه وتعالى المشركين والكافرين بأنهم كالأنعام، أو هم أضل سبيلا فهذا هو سبب الانحراف بكل أشكاله وصوره.

وقد نبه ابن خلدون إلى أثر العوامل الجغرافية فى تشكيل شخصية الإنسان وسلوكه وفكره، وذلك فى عدة مواضع من (المقدمة) منها فصل بعنون «فى المعتدل من الأقاليم والمنحرف وتأثير الهواء فى ألوان البشر والكثير من أحوالهم (ابن خلدون ، عبدالرحمن تحقيق وافى ـ بدون تاريخ ـ ٣٨٧) وهناك فصل بعنوان «فى اختلاف أحوال العمران فى الخصب والجوع وما ينشأ عن ذلك من الآثار فى أبدان البشر وأخلاقهم» (ابن خلدون ـ بدون تاريخ ـ ٣٩٤) وهذا يعنى أن ابن خلدون تنبه إلى العلاقة التفاعلية بين البيئة الجغرافية وبين الإنسان ومجتمعه وتاريخه وثقافته. وهذا هو ما يطلق عليه «الايكولوجيا الاجتماعية» وبهذا يكون ابن خلدون قد سبق المفكر الفرنسى «مونتسكيو» فى معالجته للعلاقه بين البيئة الجغرافية والسلوك، وقد ربط ابن خلدون بين البيئة الجغرافية ولون البشر وأحوالهم المعيشية وطابعهم الأخلاقى ونظامهم الإنتاجي، كما ربط بين النمو السكانى والعمرانى من جهة وبين النمو الاجتماعى والاقتصادى من جهة أخرى «يقول ابن خلدون» ومتى زاد العمران زادت الأعمال وزاد الترف تبعا للكسب وزادت عوائده وحاجاته واستنبطت الصنائع لتحصيلها فزادت قيمتها وتضاعف الكسب فى المدينة «وقد سبق ابن خلدون بهذه الفكرة نظرية «دوركيم» فى تقسيم العمل الاجتماعى (السمالوطى) نبيل ـ ١٩٧٧ ـ ٣٧ ـ ٣٨) وهذا يعنى أن العلماء المسلمين أدركوا أثر البيئة الجغرافية على سلوك الإنسان وفكره استواء وانحرافا، لكنهم لم يقعوا فى الحتمية الجغرافية التى وقع فيها أنصار المدرسة الجغرافية مثل «كوبلت» و «جيرى» فى فرنسا والعديد من الباحثين هى ألمانيا خاصة انصار مدرسة «الجيوبولبطيقا»

الإسلام والتفسير (البيولوجى) للانحراف والسلوك الإجرامى :

ينكر الإسلام ابتداء وجود ارتباط بين السمات الجسيمة فى الجسم أو الوجه أو الدماغ، من جهة وبين السلوك الإجرامى من جهة أخرى. كذلك ينكر العلاقة بين استواء السلوك وانحرافه وبين الأجناس البشرية Races وهو يرفض الاتجاه العنصرى فى فهم المجتمع والسلوك الإنسانى، الذى يمثله «الكونت ارتود دى جوبينو» فى

دراسته بعنوان «بحث فى تفاوت الأجناس البشرية» سنة ١٩٥٣م، والباحث الألمانى «اوتو آمون» Ott Amon فى دراسته بعنوان «النظام الاجتماعى ودعائمة الطبيعية» سنة ١٨٩٨، والباحث الفرنسى فاشى دى لابوج» Vacher de la Pouge فى دراسته بعنوان «اصطفاءات اجتماعية» (بدوى، السيد محمد ـ ١٩٦٦ ـ ١٩٧ ـ ٢٢٦) وتقوم النظرية العنصرية عند هؤلاء الباحثين على أساس الربط بين الخصائص الثقافية والاجتماعية والعقلية والسلوكية والأخلاقية من جهة وبين الخصائص الجسمية من جهة أخرى ـ مثل شكل الجسد وطول الرأس ومعامل الجمجمة. . الخ ولاشك أن هذه النظريات العنصرية انطلقت من منطلقات أيديولوجية وسياسية استعمارية، وحاولت تحقيق أهداف عدوانية تبرر الغزو والتسلط وليس من أهداف عليمه موضوعية (السمالوطى نبيل ـ ١٩٨١ ـ ٦٧ ـ ٧٤) وقد اثبت العلماء من خلال الأبحاث والقياسات الموضوعية فساد وانحياز هذه النظريات، ويؤكد الإسلام ابتداء وحدة الجنس البشرى يقول تعالى فى سورة النساء «**يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها**. . .» الآية (النساء ١)

وهذا لا يعنى تجاهل الإسلام للعوامل (البيولوجية) أو الوراثية وتأثيرها على فكر الأنسان وعلى سلوكه، ولكنه يضع هذه العوامل فى موقعها الصحيح دون مبالغة أو تهويل أو تهوين. فالإسلام يؤكد أثر الجوع على تخفيف حدة الشهوة يقول عليه السلام «ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فى العروق . . الحديث (صحيح مسلم ص ١٧١٢).

ونصح عليه السلام الشباب بالزواج المبكر حيث قال «يامعشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء. (رواه الإمام البخارى ٣/٢٣٨). وقد نصح عليه السلام بزواج الولود الودود. قال عليه السلام «تزوجوا الولود الودود» (الألبانى، محمد ناصر الدين، ١٩٨٢ ـ جـ ٣ ـ ٤٠) وأمر الرسول عليه السلام بتخير أمهات أبناء المستقبل بقوله عليه السلام «تخيروا لنفطفكم» (النيسابورى، الحاكم ـ ١٩٦٨ ـ ١٦٣) كل هذا يشير إلى اعتراف الإسلام بالجوانب الوراثية (البيولوجية) للسلوك.

ومما يدل على اعتراف الإسلام بالجوانب (البيولوجية) وأثرها فى السلوك أن المسؤولية فى الإسلام ترتبط بالتكليف. وهذا يقتضى أن يكون الجانى مكلفا ومختارا ومسؤولا وعلى علم بحرمة ما يرتكبه من فعل. ولهذا يعفى الإسلام فاقدى الأهلية من المسؤولية، كالأطفال ومختلى العقل، كذلك يعفى من المسؤولية المكرهين على أداء فعل محرم. والمسؤولية فى الإسلام مرفوعة عن ثلاث، عن الصبى حتى يبلغ، وعن النائم حتى يتسيقظ، وعن المجنون حتى يفيق (أبوزهرة - ١٩٧٦ - ٤٦٣ - ٤٨٧).

وهناك مجموعة من القواعد الأصولية بشأن أركان الجريمة، منها أنه لاحكم لأفعال العقلاء قبل ورود النص، وأن الأصل فى الأشياء الإباحه مالم يرد نص بالتحريم ولا يكلف شرعا إلا من كان قادرا على فهم دليل التكليف أهلا لما كلف به، ولا يكلف أى شخص إلا بفعل مقدور للمكلف، معلوم له علما يحمله على الامتثال (خلاف - بدون تاريخ - ١٢٩ - ١٣٠) ورفع الإسلام المسؤولية عن المجنون (المختل عقليا بسبب خلل بيولوجى) يؤكد اعتراف الاسلام بالعوامل البيولوجية فى تفسير السلوك الانحرافى. ويتحدث الإسلام عن حقيقة تتصل بمرض القلوب وترتبط بانحراف السلوك والنفاق بقوله تعالى : «**فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون**» (البقرة ٩ - ١٠) ويتحدث القرآن الكريم عن «عمى القلوب» يقول تعالى : «**إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور**» (الحج ٤٦)ويتحدث القرآن الكريم فى صورة مريم عن مريم عندما أتت قومها وهى تحمل السيد المسيح فقال لها قومها «**يا أخت هارون ما كان أبوك امرء سوء وما كانت أمك بغيا**» (مريم ٢٨) وفى حديث عن الرسول عليه السلام «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، وخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا» (محمد ناصر الدين الألبانى ، صحيح الجامع الصغير وزياداته، جـ ٦ - ص ٣٧ ، رقم ٢٧٩٠).

كل هذا يؤكد أن الإسلام يعترف بأثر العوامل (البيولوجية) فى تفسير السلوك مع وضعها فى موقعها الصحيح ورفض فكرة الحتمية (البيولوجية).

الإسلام والتفسير الاقتصادى للانحراف والسلوك الإجرامى :

يدرك المتأمل للأسس البنائية للاقتصاد الإسلامى الأهمية الكبرى التى ينبطها الإسلام بقضايا المال والملكية والانتاج والاستثمار والعمل وعدالة التوزيع والقضاء على كل أنواع الظلم والتفاوت الكبير بين الناس والتعامل الربوى والاستغلال والاكتناز والغش والاحتكار. الخ وينطلق الإسلام فى اهتمامه بمعالجة هذه الأمور من ارتباطها بأمن المجتمع واستقراره وتحقق التكامل والتوازن والتنمية ولما لهذه الأمور من أثر لا ينكر على العقيدة والقيم والأخلاق والسلوك. وقد تحدث العديد من الباحثين فى علوم الجريمة عن أثر الفقر والتفاوت الاقتصادى الضخم بين الناس على الانحراف والسلوك الإجرامى. والإسلام يحارب الفقر. وإذا كان الفقر والغنى أموراً تتم بإرادة الله سبحانه وتعالى، فإن دعوة الإسلام إلى محاربة الفقر وإلى تحقيق الغنى للمسلمين هى دعوة للانتقال من قضاء الله إلى قضاء الله، وكان الرسول عليه السلام يدعو ربه بقوله «اللهم إنى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى» (مسلم ص ٢٠٨٧ ـ حديث رقم ٢٧٢١).

ويشير «القرضاوى» (القرضاوى، يوسف ـ ١٩٨٥ ـ ١٤ ـ ١٦) إلى أن الفقر خطر على العقيدة، وخطر على الأخلاق، وخطر على الفكر الإنسانى، وخطر على الأسرة وخطر على أمن المجتمع واستقراره. ومحاربة الفقر ومواجهة مشكلاته هى إحدى الأسس البنائية أو الاستراتيجية للاقتصاد الإسلامى. ونوجز هذه الأسس أولا، قبل التعرض لموقف الإسلام من قضية أو مشكلة الفقر وأساليب مواجهتها. ونوجز أهم هذه الأسس فيما يلى (السمالوطى، نبيل ١٩٨٨ ـ ١٩٤ ـ ١٩٩) :

١ ـ الاتفاق مع الطبيعة البشرية التى فطر الله الناس عليها.

٢ ـ تحقيق التوازن بين مصالح الفرد ومصالح الجماعة، والإشباع المتوازن لحاجة الإنسان فى ضوء ضوابط تكفل سلامة التوجه والسلوك والنتائج.

٣ ـ تطبيق مجموعة من الضوابط التى تنطلق من منطلقات عقائدية تحول دون الانحراف أو الإجرام أو التفكك، أهما أداء فريضة الزكاة وواجبات التكافل الاجتماعى والحث على التصدق والدعوة إلى تثمير الأموال فى المجالات المشروعة وإلى

الإنتاج والنهى عن الربا والغش والاحتكار وتوظيف المال فى الأضرار بالآخرين أو أكل حقوقهم من خلال الرشوة والهدايا غير المشروعة، وعدم الإسراف وعدم اكتناز الأموال وعدم الإضرار بحقوق الغير. وقد ضمن الإسلام عدم التكدس المرضى للثروات فى جانب وتركز الحرمان المرضى فى جانب آخر، من خلال ضوابط مفروضة كالميراث الشرعى وأداء الزكاة . . ، وذلك ضمانا لعدم ظهور روح العداء والبغض والحقد بين فئات المجتمع، وهى المدخل للعديد من ألوان الصراع والتفكك والانحراف، وتشير القواعد الفقهية إلى إمكان تقييد الحقوق الفردية إذا ما ترتب عليها إضرار بالغير كالحجر على السفيه ومصادرة الأموار المحتكرة وبيعها بسعر المثل، وجواز تحديد الأرباح للقضاء على جشع التجار . . . الخ،

٤ ـ إطلاق الطاقات الاستثمارية وتشجيع النشاط الاقتصادى المنتج من زراعة وصناعة وتجارة فى إطار ضوابط متقنة، والنهى عن البطالة والتوكل والإهمال، ومن هذا أن الاسلام لم يوجب النفقة على الفقير القادر على العمل، وأوجب مساعدته على الحصول على عمل دائم والارتزاق منه.

٥ ـ الحيلولة دون التضخم المرضى للثروات، لما لهذا التضخم فى جانب والحاجة المرضية فى جانب آخر من آثار مدمرة على المجتمع. فقد وضع الإسلام الأساليب المشروعة للتمليك (أبوزهرة، محمد ـ بدون تاريخ ـ ٤٢ ـ ٦٥) وتحريم الربا. كذلك فرض الإسلام فريضة الزكاة وأوجب على الإنسان الإنفاق على من يجب على المرء النفقة عليهم شرعا، والصدقات، وأجاز تدخل الدولة فى ملكيات الأفراد قضاء على ضرر أو تحقيقا لخير عام وهناك أيضا نظام الميراث الإسلامى.

٦ ـ يحارب الاقتصاد الإسلامى الفقر والعوز لماله من آثار مدمرة على الفرد والأسرة والمجتمع ويشير (القرضاوى، يوسف ـ ١٩٨٥ ـ ٧ ـ ١٢) إلى أن للإسلام موقفه المتميز فى محاربة الفقر. فقد وقف الناس عدة مواقف متباينة من مشكلة الفقر، يلخصها فيما يلى :

أ ـ موقف المقدسين للفقر وهم الزهاد والرهبان والمتصوفة. وهذه الفئات ترى أن الفقر ليس مشكلة تتطلب الحل بل هو نعمة من الله يسوقها لمن يحب من عباده والإسلام يرفض هذا الموقف المتخاذل الانهزامى.

ب - موقف الجبرين. ويرى أنصاره أن الفقر شر وبلاء، ولكنه قضاء لا يرد ولا يمكن مواجهته، والعلاج قبول الفقر كقدر مقدور لاحيلة لنا فيه. وهذه الفئة لا تهتم بالأغنياء وما هم فيه من إسراف وترف. وهذا موقف يرفضه الإسلام أيضا.

جـ - موقف دعاة الإحسان الفردى. وهم يرون أن الفقر مشكلة، وأن حلها يكون بدعوة الأغنياء إلى الإحسان الطوعى دون تحديد مقادير معينة للصدقات ولا عقوبة على من يمتنع عن أدائها. ويشير «القرضاوى» إلى أن هذه النظرة كانت سائدة فى الأديان السابقة على الإسلام، كما سادت فى أوربا خلال القرون الوسطى وبادية العصر الحديث وهذا الموقف لا يقره الإسلام.

د - موقف دعاة النظام الرأسمالى، وهم يقرون أن الفقر مشكلة، غير أن المسؤول عنها هم الفقراء أنفسهم، وليس المجتمع، وتسود هذه النظرة فى المجتمعات التى تطبق نظام الحرية الفردية المطلقة. ويشير «القرضاوى» إلى أن هذا الموقف هو نفس موقف قارون من أهله عندما قال لهم «**إنما أوتيته على علم عندى**» (القصص ٧٨) وتصبح وظيفة الدولة هنا وظيفة بوليسية. فمن شاء الغنى فليغتن بجهده ومن يسقط فى المعركة يسقط وهو المسؤول عن نفسه. ولا مسؤولية للدولة أو للآخرين إزاءه وهذا الموقف يرفضه الإسلام.

هـ - موقف الماركسين. وهم يقرون بمشكلة الفقر، ويرون أن الحل الوحيد لهذه المشكلة هى القضاء الكامل على طبقة الأغنياء والقضاء على الملكية الخاصة، وتحقيق دكتاتورية الطبقة الكادحة. وهذا يعنى استثارة الصراع الدموى والقضاء على الفطرة الإنسانية واستثارة الأحقاد. وهذا موقف مريض كان وراء الكثير من الشرر والمشاكل التى يعانى منها العالم اليوم. وقد اضطرت الدول التى أخذت بهذا الموقف المتطرف إلى التراجع عنه تحت مسميات عديدة منها إعادة البناء أو (البرسترويكا) وهذا الموقف ينبذه الإسلام تماما.

ويؤكد (القرضاوى - ١٩٨٥ - ١٣) أن الإسلام يرفض النظرة التقديسية للفقر «فلا يوجد فى مدح الفقر آية واحده ولا حديث واحد صح عن الرسول عليه السلام»

ولا تعنى الأحاديث الواردة فى مدح الزهد أنها تمدح الفقر. فالزاهد حقا هو من ملك الدنيا فجعلها فى يده ولم يجعلها فى قلبه. والغنى فى الإسلام نعمة يمتن بها الله على عباده ويطالب بشكرها. والفقر فى نظر الإسلام مصيبة يستعاذ بالله منها. يقول تعالى فى مجال امتنانه على نبيه عليه السلام «**ووجدك عائلا فأغنى**» (الضحى ٨) وقال عليه السلام «نعم المال الصالح للمرء الصالح» (رواه أحمد والطبرانى فى الكبير) (القرضاوى - ١٩٨٥ - ١٣) ويرى «القرضاوى» أن الفقر المدقع يمثل خطرا على العقيدة خاصة إن اقترن بالغنى الفاحش، وقد كان الرسول يستعيذ من الفقر بقوله عليه السلام «اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر» (رواه ابو داود) وقال عليه السلام « اللهم إنى اعوذ بك من الفقر والقلة والذلة، وأعوذ بك من أن أظلم أو أظلم» (رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه) (القرضاوى - ١٩٨٥ - ١٥) وإلى جانب خطورة الفقر على العقيده والقيم والأخلاق، فإنه يمثل خطورة على الفكر الإنسانى، وبالتالى على السلوك. فقد ورد فى البخارى ومسلم والنسائى من حديث أبى هريرة. حديث الرجل الذى تصدق بالليل على رجل فصادفت صدقته سارقا، فتحدث الناس بذلك. ثم تصدق مرة أخرى على امرأة فصادفت صدقته زانية. فأصبح الناس يتحدثون بذلك، تصدق الليلة على زانية. فأتى فقيل له أما صدقتك فقد قبلت أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعفف عن سرقته، وأما صدقتك على زانية فلعلها أن تستعفف عن زناها (مسلم ص ٧٠٨ حديث ١٠٢٢/٧٨) وهذا يشير إلى أن لبعض الرذائل والانحرافات أسبابا اقتصادية. ويوضح هذا الحديث هذا الأمر (القرضاوى - ١٩٨٥ - ١٦) والفقر خطر على التفكير وعلى الأسرة فهو كثيرا ما يحول دون الزواج، ودون إمكان النفقه عى الزوجه والأبناء بعد الزواج مما يؤدى إلى العديد من ألوان الانحراف والتفكك وقد كان الناس فى الجاهلية يقتلون أبناءهم خوفا من الفقر وهو ما حرمه الإسلام، وهذا يعنى أن آثار الفقر قد تكون من القوة والحدة بحيث تفوق عاطفة الأبوة وهى عاطفة فطرية.

والفقر المدقع خطر على الأمن بكافه أنواعه الاجتماعى والاقتصادى والسياسى فالفقر المدقع المقترن بسوء التوزيع وسيادة الغنى الفاحش، مدخل إلى العديد من

الانحرافات والصراعات كالسرقة والسطو والزنا والاغتصاب والقتل، وقد روى عن أبى ذر الغفارى أنه قال «عجبت لرجل لا يجد قوت يومه كيف لا يخرج شاهرا سيفه» والمؤمن لا يخش الفقر إذا كان سببه قلة الموارد وكثرة السكان، ولكنه إذا كان مقترنا بالظلم وسوء التوزيع وعدم كفاية المجتمع ورعايته للفقراء، فإنه يكون عاملا للفتن والانحرافات والصراعات (القرضاوى ـ ١٩٨٥ ـ ١٨).

ويؤكد العديد من الباحثين أن الفقر خطر على استقلال الأمة وسيادتها وحريتها فالفقراء الذين يشعرون بالحرمان والظلم والاستغلال والإهمال الكامل من الأغنياء فى مجتمعهم ودولتهم، قد لايجدون فى أنفسهم الحماس للدفاع عن وطنهم (القرضاوى ـ ١٩٨٥ ـ ١٩).

وينكر الإسلام النظرة التقديسية للفقر، حيث يحث على العمل والإنتاج وتحرير الإنسان من رق الفقر والعوز وتحقيق العزة والغنى والكرامة للمؤمنين «فإذا كان الفقر قدرا من الله، فإن مقاومته والتحرر منه والسعى نحو الغنى قدر الله أيضا وكما يقول عمر بن الخطاب «نفر من قضاء الله إلى قضاء الله» وكان رسولنا عليه السلام يستعيذ بالله من الفقر، ويسأله الغنى «اللهم إنى أسالك الهدى والتقى والعفاف والغنى» (رواه مسلم، حديث سابق). والفرق كبير بين الرضا بقسمة الله وبين الرضا بالفقر والذل. فالقناعة هى الرضا بقسمة الله فيما لا يمكن تغييره وتحسينه بالأساليب المشروعة. فالمؤمن مدعو للعمل والكفاح فى طلب الرزق بشرط عدم التطرف والمغالاة فى إرهاق النفس والبدن، ومن الرضا بقسمه الله عدم التطلع أو تمنى ما فضل الله بعض الناس على بعض «**ولا تتمنوا ما فضل الله بعضكم على بعض**» (النساء ٣٢) وقد جاء فى صحيح مسلم أن أم حبيبة رضى الله عنها قالت : «اللهم متعنى بزوجى، رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبأبى أبو سفيان، وبأخى معاوية، فقال لها رسول الله «إنك سألت الله لآجال مضروبة، وآثار موطوءة وأرزاق مقسومة، لا يعجل منها شىء قبل حله، ولا يوخذ منها شىء قبل حله. الحديث (مسلم ص ٢٠٥١ حديث رقم ٣٣ ـ ٢٦٦٣) فالإسلام يدعو إلى السعى على الرزق والجد والاجتهاد والعمل فى

اعتدال ودون تطرف حتى لا يؤدى إلى الصراع والجشع والانحراف بشتى صوره. فعلى المؤمن أن يحارب الفقر بالأساليب المشروعة وعليه أن يدرك حقيقة كبيرة وهى أن الفقر والغنى ينبثقان من النفس، وأن التطلع يجب أن يكون إلى ما عند الله. يقول عليه السلام «ليس الغنى عن كثرة العرض وإنما الغنى غنى النفس». (وراه أبو هريرة حديث متفق عليه، مسلم ص ١٠٥١) فالفقر والغنى كلاهما ابتلاء واختبار من الله لعباده. يقول تعالى : «**إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر**» (الإسراء ٣٠) وعلى المؤمن فى سعيه الأخلاقى للتخلص من الفقر ومحاولة تحقيق الغنى المادى أن يكون واقعيا يقر بحقيقة التفاضل بين الناس فى الإمكانات الجسمية والعقلية والنفسية والاقتصادية، وهذه سنة الله فى خلقه. فالقناعة التى يجب على المؤمن التحلى بها لا تتعارض مع سعى الإنسان للحصول على نصيبة من الدنيا وتحسين أحواله الاقتصادية والاجتماعية بالطرق المشروعة. يقول تعالى : «**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا**». الآية (القصص ٧٧)، ولكنها تتعارض مع القلق المفرط أو التكالب الشديد على الدنيا أو اللجوء إلى أساليب غير مشروعة أو غير أخلاقية، أو التطلعات القاتلة، أو التطلع إلى ما وهبه الله للغير، أو عدم إدراك حقيقة قدرات الإنسان وحقيقة متغيرات المواقف وهذه الأمور التى ينهى عنها الإسلام هى أهم الأسباب الاقتصادية للانحراف.

ويشير (القرضاوى، يوسف ـ ١٩٨٥ ـ ٥٠ ـ ٥٥) إلى أن للإسلام منهجه المتميز والأخلاقى ومدخله العقائدى للقضاء على مشكلة الفقر، فلا يكفى ترك الأمور للإحسان الفردى أو الطوعى كما يفعل أنصار الاتجاه الرأسمالى، ولا يكفى الضمان الاجتماعى كما هو فى التطبيقات الوضعية، فهذه حلول ترقيعية وليست جذرية ويرفض الإسلام الحل الماركسى المريض القائل بأن مواجهة مشكلة الفقر تكون بمحاربة الثراء الفردى وإلغاء الملكية الخاصة. فهذا التصور مضاد للفطرة وللعقل السليم وللواقع الإنسانى والاجتماعى ومعارض للشرع. فالإسلام يقر الغنى ويدعو الناس للتملك والثراء من خلال الأساليب المشروعة والضوابط الإسلامية المحكمة وبشرط أداء حق الله فى هذه الأموال والأملاك. ويوكد الإسلام على مبادىء شرعية

تتصل بالأخوة الإسلامية والتكافل الاجتماعى وحق العمل لكل قادر عليه. والزكاة فى الإسلام فريضة مالية هدفها إغناء الفقراء وإزالة مسببات الحقد والحسد والصراع والتفكك والتناحر من المجتمع. وهدف واجبات التكافل الاجتماعى تحقيق التعاطف والتماسك الأسرى والقربى والمودة والرحمة بين الأسر. يقول تعالى: «**وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله**» (الأنفال ٧٥) وإذا كان الإسلام قد ركز فى العديد من الآيات الكريمة والأحاديث القدسية والنبوية على حق ذى القربى وبرهم وصلتهم والإحسان إليهم. فإن هذا لن يتحقق إلا بالنفقة على المحتاج منهم (القرضاوى ـ يوسف ـ ١٩٨٥ ـ ٥٥) وهناك حقوق أخرى فرضها الإسلام على المؤمنين لتأمين سلامة المجتمع بعلاقاته وتعاملاته ونظمه والحيلولة دون ظهور أو تفشى أسباب الانحلال ومن هذه الحقوق حقوق الجار. قال عليه السلام «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره» (متفق عليه) وقال عليه السلام «ليس منا من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم» (رواه الطبرانى والبيهقى). وقد قنن الإسلام علاقات الجيرة بشكل دقيق، حتى ولو كان الجار غير مسلم، وهناك العديد من المواقف التى أوجب فيها الإسلام البذل والعطاء للفقراء والمساكين، مثل أضحية العيد، وهى واجبة على الموسرين عند الحنفية استنادا إلى قوله عليه السلام «من كان عنده سعة فلا يضحى فلا يقربن مصلانا» (رواه أحمد وابن ماجه) (القرضاوى ـ ١٩٨٥ ـ ١١٨)، ومن ذلك الكفارات مثل كفارة الحنث فى اليمين وكفارة الظهار، وكفارة الجماع فى نهار رمضان، وهناك الهدى فى الحج والعمرة، وحق الزرع عند الحصاد «**وآتوا حقه يوم حصاده**» (الأنعام ١٤١) ويذهب بعض الصحابة والتابعين إلى أن هذا الحق غير حق الزكاة، وأنه متروك لضمير صاحب الزرع وحاجة المساكين من حوله» (القرضاوى ـ ١٩٨٥ ـ ١٢٠).

ويؤمن المجتمع الإسلامى القضاء على كل عوامل الصراع والتفكك، ومن أهم الوسائل لذلك محاربة الفقر، والتفاوت الضخم بين الناس فى الثروات أو فى الغنى والفقر، وتأمين حق العمل لكل قادر عليه، وتأمين حد الكفاية لكل شخص فقير على أرض الدولة الإسلامية عن طريق الزكاة، وإذا لم يكن مال الزكاة كافيا فهناك بيت

المال، وإذا لم يكن فيهما الكفاية للفقراء المحتاجين، فإن فى مال الأغنياء، حقاً آخر سوى الزكاة. فقد روى الترمذى عن فاطمة بنت قيس قالت سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الزكاة فقال «إن فى المال حقا سوى الزكاة، ثم تلا قوله تعالى : «**ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة** . . . » الآية. (البقرة ١٧٧) ويلاحظ هنا أن الآية عطفت إيتاء المال على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة مما يدل على أن الإيتاء الأول غير الزكاة، وأنه من عناصر البر والتقوى، وهذا دليل الوجوب. (القرضاوى ـ ١٩٨٥ ـ ١٢١).

وإلى جانب كل هذه الأساليب لمواجهة مشكلة الفقر هناك بيت المال وفيه حق للفقراء والمساكين. وقد روى الشيخان عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال : «أنه أولى بكل مسلم من نفسه، من ترك مالا فلورثته، ومن ترك دينا أو ضياعا (أى أولاد صغار ضائعين لا مال ولا مورد لهم) فإلى وعلى» (رواه أبو هريرة وهو متفق عليه مسلم ص ١٢٣٨ ـ ١٦١٨/١٧)، وهو عليه السلام يمثل الدولة الإسلامية مما يشير إلى حق الفقراء على الدولة، وإلى جانب كل هذه الأساليب والإجراءات الإسلامية لمواجهة الفقر وهو أحد عوامل الانحراف، فقد حرص الإسلام على تربية الإنسان المسلم الذى يراقب ربه ويشعر بالأخوة الإسلامية، ويرق قلبه للمحتاجين بما فيهم الذين لا يسألون الناس إلحافا. ويحث الإسلام على البذل والعطاء ليلا ونهارا، سرا وعلانية لمن يطلب ومن لا يطلب من المحتاجين والأدلة كثيرة «**الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**» (البقرة ٢٧٤)

هذه الوسائل الست التى يعالج الإسلام من خلالها مشكلة الفقر وهى إيجاد العمل لكل قادر عليه، والزكاة، وواجبات التكافل الاجتماعى، وحقوق الفقراء والمساكين فى أموال الأغنياء خارج الزكاة، وحقهم فى بيت المال أو واجب الدولة

إزاءهم والحث على البذل والتصدق (القرضاوى ـ ١٩٨٥) كفيلة بالقضاء على واحد من أهم عوامل الانحراف العقائدى والقيمى والأخلاقى والسلوكى، مما يشير إلى اعتراف الإسلام بأثر العوامل الاقتصادية فى دفع الناس إلى الانحراف (السرقة والحرابة والزنا والاغتصاب والرشوه والاختلاس والإدمان . . . الخ). ويلخص «القرضاوى» هذه الأساليب الست فى ثلاثة حسب مركز المسؤولية والاهتمام.

أولا ـ ترتبط الوسيلة الأولى بشخص الفقير نفسه حيث يجب على الدولة الإسلامية إيجاد العمل المناسب له ومعاونته بالمال والتدريب حتى يعول نفسه وأسرته.

ثانيا ـ ترتبط الوسيلة الثانية بجماعة المسلمين التى يتحتم عليها كفالة الفقراء سواء أداء لواجب أو فرض دينى، أو تطوعا طلبا لمثوبة الله.

ثالثا ـ ترتبط الوسيلة الثالثة بالدولة الإسلامية وواجبها فى إعالة كل صاحب حاجة وليس له مورد.

تجدر الإشارة إلى أن إقرار ومعالجة الإسلام لخطورة الفقر والبطالة والتمايز الاقتصادى الشاسع بين الناس، والاستغلال الاقتصادى، والصراع، كعوامل دافعة للسلوك الانحرافى، يختلف عن المعالجات الحديثه فى العلوم والدول الحديثه من عدة جوانب وهى :

أولا ـ يعالج الإسلام هذه القضايا من منطلقات شرعية عقائدية وقيمية وأخلاقية وليس من منطلقات وضعية بشرية. (سياسية أو اقتصادية أو ترفيعية . . .).

ثانيا ـ شمولية المعالجات الإسلامية، حيث إن معالجة الإسلام لهذه القضايا والمشكلات تتحقق فى ظل التصور الإسلامى لبناء المجتمع الإسلامى ونظمه، وبهذا لا تكون معالجات جزئية مفتتة أو مواجهة ترقيعية أو مصلحية أو سياسية، كما هو الحال فى النظم الوضعية. فالعوامل الاقتصادية وحدها لا تفسر الانحراف ولكنها عندما تقترن بمناخ غير إسلامى ونقص فى الإيمان وعدم تطبيق حدود الله وشرعه.. تصبح من أقوى العوامل الدافعة للاجرام.

ثالثا ـ يقيم الإسلام البناء الاجتماعى للمجتمع على أسس تحقق العدالة والمساواة والتكافل والتراحم والأخوة، وهو لا ينتظر المشكلة حتى تقع ثم يفكر فى العلاج ولكنه يسد كل المنافذ أمام ظهور المشاكل والانحراف، وإذا ظهرت بعض المشكلات فهناك أساليب المواجهة والعلاج. وهذا يعنى أن البناء الإجتماعى للمجتمع الإسلامى يقوم على أسس وقائية وعلاجية متكاملة، وأن ظهور المشكلات يشير إلى خلل فى تطبيق شريعة الله المتكاملة والمتوازنة والشاملة لأنها صنع الله الذى أتقن كل شىء.

رابعا ـ يرفض الإسلام التطرف مثمثلا فى الحتميات ومنها الحتمية الاقتصادية فى تفسير السلوك والانحراف.

الإسلام والتفسير التربوى للانحراف والسلوك الإجرامى:

إذا كان الباحثون فى السلوك الانحرافى يحاولون الربط بين فشل أجهزة التنشئة الاجتماعية وبين الاختلال النفسى والسلوكى للإنسان (جعفر، على محمد ـ ١٩٨٤ ـ ٥٢) فإن الإسلام قد أكد هذه الحقيقة، حيث وضع أثر العوامل التربوية والنفسيه على السواء والانحراف فى كل أشكاله وصوره، العقائدى والقيمى والأخلاقى والاجتماعى والسلوكى. ويؤكد الإسلام أن أهم عامل للانحراف غياب أو ضعف الإيمان، وهو مسؤولية الأجهزة والمضامين التربوية، كما يؤكد أن أقوى العوامل فى محاربة الانحراف والجريمة هو بناء المؤمن الصادق الإيمان، فالإيمان ومراقبة الله فى السر والعلن هو أقوى عامل للسواء وهو العاصم من الانحراف فمهما كان من قوة أجهزة الشرطة والعدالة الجنائية فإنه لا يمكنها التحكم فى معدلات الجريمة إذا لم يكن هناك وازع داخلى يلزم الناس بالاستواء والامتثال للمعايير والقواعد المؤدية إلى الاستواء.

وتهدف التربية الإسلامية إلى إعداد الإنسان الصالح وتهيئته لأداء أدواره، كما أرادها الله سبحانه وتعالى له، وهى العبادة «**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**»

(الـذاريات ٥٦) والتعـارف بين الشعـوب والقبـائـل «**وجعلنـاكم شعـوبـا وقبائل لتعـارفـوا**». (الحجـرات ١٣) والتفاضل بين الناس بالتقوى «**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**» (الحجرات ١٣) وتعمير الأرض. «**هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها**» (هود ٦١) والعمل على نشر دين الله وتطبيق شرعه، والحفاظ على الفطرة السليمة التى فطر الله الناس عليها، ومحاربة الكفر والشرك والفساد. «**فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها**. . .» الآية (الروم ٣٠) والتربية فى نظر الإسلام هى سبب مسايرة الناس للفطرة، كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» (متفق عليه مسلم ص ٢٠٤٧ حديث رقم ٢٢/٢٦٥٨) والتربيه بهذا هى المسؤولية عن تشويه الفطرة السوية والابتعاد عنها، مما يفسح المجال للوقوع فى كل أشكال الانحراف كالانقياد للمغريات والشهوات والأفكار المضللة والانجراف للجريمة.

وإذا كان الإنسـان قد خلق من جانبـين: جانب ترابى مادى شهوى، وجانب روحى سام هو نفخة من روح الله، فإن التربية الإسلامية مسؤولة عن تحقيق التوازن الدقيق فى إشباع هذين الجانبين بالسير على هدى المنهج الإلهى. فالتربية التى تتطرف فى إشباع أحد الجانبين على حساب إهمال الجانب الآخر تؤدى إلى الانحراف. فإذا غلب الجانب الشهوى، وقع الإنسان أسيرا للمادة والمال والجنس والسلطة. . وغيرها من مغريات الدنيا التى يزينها الشيطان، وإذا تطرف الإنسان فى الجانب الروحى وقع فى الرهبانية والصوفية والروحية، وهى انحرافات عقائدية وسلوكية لا تتفق مع الفطرة السوية. يقول تعالى: «**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا**» (القصص ٧٧) (السمالوطى، نبيل - ١٩٨٣ - ٢٩١).

والـتربية الإسـلامية هى السبيل إلى إعـداد الإنسـان الصـالح وبالتالى الجماعة والمجتمـع الصـالحـين. والسمة التوازنية فى التربية الإسلامية هى أساس الاستواء العقـائدى والفكرى والقيمى والسلوكى، فالإسلام يؤكد أهمية التوازن بين الجسم والروح، وبين القول والعمل. «**يأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون**. . » الآية

(الصف ٢) وبين الفكر والسلوك، وبين الطابع الفردى والطابع الاجتماعى، وبين التمسك بالعقيدة والاخلاق والقيم الإسلامية، والتطورات العلمية و (التكنولوجية) الحديثة. . ويؤكد الإسلام أن المدخل إلى الانحراف هو الاختلال فى التوازن بين هذه الأمور.

وتركز التربية الإسلامية على أساس استراتيجى فى بناء الإنسان الصالح وهو بناء العقيدة الصحيحة ومراقبة الله فى السر والعلن وتقوية الإيمان، فهذا العامل هو الأساس فى صد الشيطان وإغلاق الباب أمام الانحراف. والترغيب والترهيب، واستخدام الحكمة والموعظة الحسنة، واستخدام الأساليب الحسية، والحوار، والموقف والقصة، ومراعاة التدرج ومراعاة القدرات الاستيعابيه للنشىء، والمحاولة والخطأ، واستخدام الأحداث والظروف فى التعليم، وممارسة التوجيه التعليمى والمهنى والاجتماعى والأخلاقى بما يحقق صالح الفرد والمجتمع، وتؤدى الجزاءات الشرعية والاجتماعية دورا تربويا مهما داخل المجتمع إلى جانب ما تؤديه من أدوار أخرى مهمة.

وندرك علاقة النظام التربوى (التنظيمات التربوية، الأهداف والمضامين والأساليب والأسس. .) بالسلوك الانحرافى إذا ما استعرضنا معدلات ونوعيات الجرائم ومعدلات نموها واتجاهاتها فى أكثر دول العالم تقدما فى مجالات العلوم و (التكنولوجيا) بما فيها (تكنولوجيا) مكافحة الجرائم والكشف عنها ومنع حدوثها وهى الولايات المتحدة الامريكية. فإحصاءات المكتب الفيدرالى هناك توضح أنه بين سنة ١٩٦٦م، ١٩٧١ زادت نسبة الجرائم الخطيرة بمقدار ٨٣٪ بينما لم يزد عدد السكان خلال نفس الفترة إلا بنسبة ٥٪ فقط و تنقسم هذه الجرائم إلى نوعين :

أ - جرائم العنف Crimes of violence

ب - جرائم ضد الملكية Againsty property ونجد أن الأولى قد ارتفعت بمقدار ٩٠٪ بشكل مطلق، بينما ارتفعت الثانية بنسبة ٨٢٪ ويشير الباحثون إلى أن النسبة الحقيقية لنمو الجرائم هناك أعلى من هذه الأرقام بكثير وأنه على الرغم من ارتفاع النسبة المذكورة إلا أنها لا تعتبر عن الواقع لعدة أسباب تتصل بالاعتبارات السياسية

والاقتصادية والأمنية، وثقة الجماهير فى أجهزة الشرطة، وما يعود على المجنى عليه من نتائج إيجابية أو سلبية نتيجة الإبلاغ،.وقدرة الشرطه على متابعة النمو الهائل فى الفكر والممارسات الإجرامية. . الخ. (Harries'k - 1974-1)
وتشير الدراسات إلى أن ظاهرة الأطراف الحضرية المسورة (Walled Suburbs) فشلت فى الحد من النمو الرهيب فى معدلات السلوك الإجرامى، مما يشير إلى أن (تكنولوجيا) وعلوم الشرطة والعدالة الجنائية تبقى عاجزة عن ضبط الجريمة إذا لم تنجح مؤسسات التربية فى صياغة الشخصيات الملتزمة بالفكر والسلوك السوى وتشير الدراسات (نشرة أخبار الولايات المتحدة والتقارير العالمية) إلى أن جرائم العنف زادت فى بريطانيا من ٢٦٢١٦ جريمة سنة ١٩٦٦ إلى ٤١٠٨٨ جريمة سنة ١٩٧٠م وكانت أغلبها فى مدينة لندن (Harries'k-D - 1974-2) وحدث نفس الشىء فى بقية مدن أوربا وأمريكا اللاتينية. وهناك موجات جرائم العنف، وموجات الإرهاب العالمى International terrorism ويشير «كيث هاريس» (Harries-1974 - 2) إلى أن عالم اليوم يعانى من مشكلة الجريمة أو الإجرام بشكل لم يسبق له مثيل فى التاريخ الحديث. وقد تصاعدت مشكلة الانتحار بشكل لم يسبق له مثيل كذلك فقد وصل عدد المنتحرين فى العالم غير الشيوعى إلى ٣٦٥٠٠٠ شخصا، ويقدر من أقدم على هذه الجريمة بثلاثه ملايين شخص (يالجن، مقداد ـ ١٩٧٨ ـ ٤٧) ويشير بعض الباحثين (يالجن، مقداد ١٩٨٧ ـ ١٦٧) إى أن هناك ستة خصائص للتربية الإسلامية من منظور معالجتها لمشكلة الجريمة وهى (يالجن ـ مقداد ـ ١٩٨٧ ـ ١٦٩ ـ ٢١٠).

أولا ـ تحقيق الوقاية الجذرية من الجرائم من خلال توجيهات القرآن الكريم والسنة مثل حسن اختيار الزوجة «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس» (الحاكم النيسابورى فى المستدرك)، وحسن اختيار الآباء لأزواج البنات. قال عليه السلام «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، الا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير» (الترمذى فى الجامع الصحيح) ويوجه الإسلام الآباء إلى الاستقامة والبعد عن الرذائل وحسن معاملة الزوجة وضمان الزوج لرزقها حتى لا تعمل وتجهد نفسها

خاصة خلال فترات الحمل والرضاع. وأفاض العلماء فى أهميه رضاعة الطفل من أمه. وقد روى عن الرسول عليه السلام أنه نهى عن استرضاع الحمقاء فإن اللبن يورث. وهذا يعنى حرص الإسلام على بناء أسرة صالحة تنجب أبناء صالحين ليكون المجتمع صالحا. ولا يكون الصلاح إلا بتقوى الله واتباع أوامره والانتهاء عن كل ما يضبه وفى مقدمتها انتهاك محارمه.

ثانيا ـ تظهير النفس من كل ما يدفعها إلى الانحراف. ويكون هذا بمقاومة النفس الأمارة بالسوء ومقاومه وسوسة الشيطان. ويتحقق هذا بأن يحاسب الإنسان نفسه على النوايا الداخلية والنزوع والوجدانات الداخلية، كما يحاسب جوارحه على ما تفعله، وذلك من أجل قمع نوازع الشر والانحراف بحيث لا تتحول إلى واقع ممارسة وعلى الإنسان أن يعلم أن الله يحاسب الإنسان على مافى نفسه فهو يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور. يقول تعالى : «**إن تبدو مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله**» (البقرة ٢٨٤) وعلى الإنسان أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب، وأن يزن أعماله قبل أن توزن عليه. يقول عليه السلام «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت. والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله» (الترمذى جـ ٤) ويشير (يالجن ، مقداد ١٩٨٧ ـ ١٨٢) إلى أن الجريمة فى الإسلام قسمان، جريمة باطنية فى القلب. وأخرى ظاهرة، والإنسان محاسب على الأولى وإن لم تتحقق كالثانية إلا إذا عدل عنها خوفا من الله» وفى هذه الحالة يكتب الله للإنسان بذلك حسنة. والإسلام هو الدين الذى يحاسب الإنسان على الداخل والخارج، فى حين أن النظم الوضعية لا تحاسب إلا على الجرائم التى تقع فعلا، ولهذا لا تتخذ الإجراءات الوقائية لمقاومة دخول جرثومة الإجرام فى نفس الإنسان. ويتم ذلك بالمراقبة الدائمة لأعمال القلب ما أكده الحارث المحاسبى فى (أعمال القلوب والجوارح) وأبوحامد الغزالى فى (إحياء علوم الدين) وغيرهما، فالإنسان يجب أن يراقب خواطره «فالخاطر يحرك الرغبة، والرغبة تحرك العزم، والعزم يحرك النية التى تحرك الأعضاء. (الغزالى، أبو حامد ـ بدون تاريخ ـ جـ ٣ ـ ٢٦) وعلى الإنسان أن يحاسب نفسه حتى لا يقع فى الانحراف، وإذا وقع فى انحراف سلوكى فيجب عليه أن يحاسب نفسه ويسرع إلى التوبة والاستغفار حتى يعود إلى منهج الله .

ثالثا ـ تؤدى التربية الإسلامية إلى تكوين رقيب داخل نفس الإنسان يحاسبه ويقوم أعماله ويضبطها. وهذا الرقيب هو ضمير الإنسان الذى يراقب الله فى كل الأوقات والظروف فيحول باستمرار دون الانحراف، أو دون التمادى فيه. فإيمان الإنسان الكامل بأن الله «**يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور**» (غافر ١٩) وأنه سبحانه يحاسب الإنسان على نياته الداخليه وأعماله الخارجية «**وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله**» (البقرة ٢٧٤) هذا الإيمان القوى يحول بين الإنسان وبين الانحراف سواء على مستوى النيات أو السلوك.

رابعا ـ إعداد بيئة اجتماعية خالية من الإجرام ومكافحة لها (مقداد ـ ١٩٨٧ ـ ١٩٦)، فالإسلام يؤسس مجتمعا صالحا يسوده العدل والمساواة والشورى والتقوى والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والأخلاق الكريمة. ويحرص على دعم قيم العمل والجهاد والعلم والصبر ويحارب الفاحشة والانحراف، ويطبق نظاما محكما للجزاءات من حدود وقصاص ودية وتعزير، وهكذا يدعم فى نفوس الناس مبدأ الفصيلة ومكافحة الانحراف.

خامسا : صياغة أفراد المجتمع ليصبحوا جنودا لمكافحة الجرائم (مقداد ـ ١٩٨٧ ـ ٢٠٤) ويتحقق هذا الهدف من خلال إرساء العقيدة وقوة الإيمان وتربية الناس على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ومحاولة تغيير المنكر باليد أو بالسان أو بالقلب فى حالة عدم الاستطاعة، وهو واجب على كل مؤمن، يقول عليه السلام «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه، فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» (رواه مسلم) وسبب لعنة الله لبنى إسرائيل أنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه.. الآية (المائدة ٧٩) وقال تعالى : «**فلتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**» (آل عمران ١٠٤) وقال تعالى : «**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**» (آل عمران ١١٠).

سادسا ـ استخدامها كافة الأساليب والوسائل التربوية فى ضوء معايير التربية الإسلامية (مقداد ١٩٨٧ ـ ٢٠٩ ـ ٢١٠) وهو يحدد أهم الأساليب بأنها «القدوة الحسنة، والوعظ والإرشاد، والتذكير والعبرة، والتدريب والممارسة، والترغيب والترهيب، وضرب الأمثال، والقصه، والحوار والمناقشة العلمية. وإلى جانب هذه الأساليب هناك «العقاب الفعلى، واستخدام التربية السلوكية باقتلاع العادات السيئة وتكوين العادات الحسنة، واستخدام الأساليب الحسية، والمحاولات والخطأ، واستخدام الأحداث والظروف فى المواقف التعليمية. (السمالوطى، نبيل ١٩٨٠ ـ ٢٠٥ ـ ٢١٥).

الإسلام والتفسير النفسى للانحراف :

يحاول أنصار التفسير النفسى للجريمة ربط السلوك الانحرافى بالاضطرابات السلوكية وعدم استواء الشخصية نتيجة للصراعات النفسية وما تعانيه من عقد وكبت وهذا يعنى أنهم يربطون الانحراف بأمراض النفس أو بالمرض والصحة النفسية وتنطلق المدرسة التحليلية فى فهم الانحرافات السلوكية من تفسير فرويد والذى يقسم النفس إلى ثلاثة أقسام، جانب غريزى فطرى شهوى (الهو)، وجانب مثالى يتكون من مجموعة القيم والمثل العليا التى يحاول المجتمع فرضها على الطفل (الأنا الأعلى) وهناك الجانب الثالث (الأنا) وهو الذى يحاول التوفيق بين الجانبين المتصارعين (Haskell'M et-al -1978-375) . ويتوقف السلوك على قوة الأنا. فالانحراف هو التطرف فى إشباع أحد الجانبين المتصارعين. والسلوك الانحرافى ينجم طبقا لهذه النظرية من أحد أمور ثلاثة ـ الأول عدم قدرة الإنسان على ضبط دوافعه الغريزية وهى دوافع إجرامية Criminal drives والثانى اضطراب نمو الأنا وظهور الشخصية المضادة للحياة الاجتماعية

Anti-Social character والثالث النمو المفرط للأنا الأعلى Overdeveloped super Ego (Haskell'm et -al- 1975) .

والواقع أن هذا العرض الفرويدى لتفسير الانحراف، هو تشويه للتفسير

الإسلامى حيث سبق للإسلام أن قرر حقيقة الإنسان وأنه مكون من جانبين، جانب ترابى هو اصل الشهوات، وجانب روحى وهو نفخة من روح الله. وسبق للإسلام أن بين أهمية التوازن فى إشباع الجانبين فى ضوء المنهج الاسلامى متمثلا فى الشريعة الاسلامية. وسبق للاسلام أن بين أن أى تطرف فى إشباع أى من الجانبين الترابى المادى الشهوى أو الروحى على حساب الجانب الآخر يعد انحرافا. وسبق للإسلام أن تحدث عن النفس ولكن بشكل مخالف للفكر الفرويدى. فالجانب الفطرى فى الإنسان لا يتضمن فقط غريزتى الجنس والعدوان، كما زعم فرويد ولكنه يتضمن كذلك التوجه إلى الخالق لعبادته وتوحيده، فقد ألهم الله النفس فجورها وتقواها «**ونفس وما سواها فألهما فجورها وتقواها**. . » (الشمس ٧ ـ٨) فإذا كانت النفس الإنسانية فيها جانب للضعف، فقد زودها الله بمقومات التقوى والصلاح والسمو. وهنا تسقط النظرية الفرويدية. وإذا كان الإنسان مؤلفا من عنصرين متقابلين (العنصر الترابى والعنصر الروحى) فهناك عامل مهم لتحقيق التوازن فى إشباع كل منهما وهو تطبيق المنهج الإلهى وهو الشريعة. كذلك يتحدث الإسلام عن عدة أنواع أو جوانب للنفس الإنسانية (السمالوطى ، نبيل ـ ١٩٨٤ ـ ٦٩). ومنها.

ـ النفس الأمارة بالسوء، وهى النفس الشهوية الأنانية التى تحرض صاحبها على الزيغ والإنحراف. يقول تعالى «**وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى**» (يوسف ٥٢) وأمارة بالسوء أى مشتهية له (القرطبى ـ ١٩٦٦ ـ مجلد (٥) ـ ٢١٠) وفى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «ما تقولون فى صاحب لكم، إن انتم أكرمتموه وأطعمتموه وكسوتموه أفضى بكم إلى شر غاية، وإن أهنتموه وأعريتموه وأجعتموه أفضى بكم إلى خير غاية» قالوا يارسول الله هذا شر صاحب فى الأرض قال : فوالذى نفسى بيده إنها لنفوسكم التى بين جنوبكم» (القرطبى ـ ١٩٦٦ ـ ٥ ـ ٢١٠)

ـ النفس اللوامة، وهى فى بعض التفاسير النفس التى تراجع صاحبها وتحاول العودة به إلى الحق والتوبة والاستغفار والطريق المستقيم. يقول تعالى : «**لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس الوامة**» (القيامة ١ـ٢) وجاء فى «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبى أن النفس الوامة هى عند الحسن نفس المؤمن وهى عند بعض المفسرين

صفة مدح، فالفاجر لا يحاسب نفسه. وقال «مجاهد» هى التى تلوم نفسها على الشر لم فعلته، وعلى الخير لم لا تستكثر منه. وبعض المفسرين يرون أنها صفة ذم (القرطبى) أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى - ١٩٦٦ - م - ١٠ - جـ ١٩ - ص ٩٣).

- النفس المطمئنة الراضية المرضية التى يقول عنها عز وجل «**يأيتها النفس المطمئنة إرجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى**» (٢٧ - ٣٠) وقد جاء فى «الجامع لأحكام القرآن» إنها النفس الساكنة الموقنة التى أيقنت أن الله ربها فأخبتت له» (القرطبى - ١٩٦٦ - جـ ٢٠ - ٥٨) وقال الحسن «المقصود هنا النفس المؤمنة الموقنة» عند مجاهد هى النفس «الراضية بقضاء الله» وهى النفس المطمئنة بذكر الله وبالإيمان المصدقة بالبعث والثواب». وقال عمرو بن العاصى «إذا توفى المؤمن أرسل الله إليه ملكين وأرسل معهما تحفة من الجنة فيقولان لها «اخرجى أيتها النفس المطمئنة راضية مرضية مرضيا عنك، اخرجى إلى روح وريحان، ورب راض غير غضبان». . . وذكر الحديث - (القرطبى - جـ ٢٠ - ٥٨.

والتطرف فى الإسلام هو المغالاة فى إشباع أحد جوانب الإنسان على حساب جانب آخر، فالإسراف فى الشهوات انحراف وكذلك الاسراف فى الجانب الروحى انحراف. وهذه عظمة الإسلام وواقعيته. وهذه هى التعادلية الإسلامية السامية. فالغلو فى أى جانب انحراف، بما فيه الغلو فى الدين يقول تعالى: «**ياأهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم**» (النساء ١٧١).

وإذا كان أنصار الاتجاه النفسى فى تفسير الانحراف يربطون الانحراف والاستواء بمفهوم ومقومات الصحة النفسية، فالواقع أن هناك اختلافا حول تحديد معايير الصحة النفسية، وقد طرح فى هذا الصدد عدة معايير منها المعيار المثالى والمعيار الإحصائى، والمعيار الطبى النفسى (السمالوطى، نبيل، ١٩٨٨ - ١٥٨ - ١٥٩) وتتناقض هذه المعايير وتتسم بالنسبية والقصور، ويحدد لنا الإسلام مجموعة من المعايير لا تهمل ما تحدث عنه علماء النفس من معايير رسمية مثل التوافق الذاتى، والتوافق الاجتماعى، والقدرة على مواجهة المشكلات، والقدرة على العمل المثمر، والشعور

بالرضا أو السعاده، والقدرة على الحب والعمل . . غير أن الإسلام يحدد المنطلق العام الذى يحقق هذه الأمور بشكل سوى سليم متكامل ومتوازن، ويحول دون التطرف والانحراف، فأساس الصحة النفسية ومنطلقها هو الإيمان الكامل بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره. هذا الإيمان هو الدافع للاستواء، وهو العاصم من الصراعات والقلق والتوترات والأمراض النفسية والاجتماعية وبالتالى العاصم الأساسى من الانحراف.

التورط فى الانحراف أول مرة كدافع لاستمرار الانحراف

كثيرا ما تحدث المشتغلون عن تورط الإنسان فى الانحراف، سواء بشكل عرضى أو مقصود، كعامل لاستمرار الإنسان فى طريق الانحراف، وصعوبة العودة للاستواء، ويواجه الإسلام هذا الأمر مواجهة جذرية حاسمة. فالإسلام يقر الضعف البشرى، يقول عليه السلام «لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقا يذنبون يغفر لهم (مسلم ٢٧٤٨ ص ٢١٠٥ ـ سقوط الذنوب بالاستغفار) ويفتح الإسلام باب الاستغفار والتوبة على مصراعيه أمام كل مخطىء، قال عليه السلام «يأأيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإنى أتوب فى اليوم إليه مئة مرة. (رواه مسلم ص ٢٠٧٦ رقم ٤٢ / ٢٧٠٠) (النووى ـ بدون تاريخ. التوبة). ويقول عليه السلام «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها (صحيح مسلم حديث رقم ٢٧٥٩ ص ٢١١٣، حديث فى باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة) ويقول تعالى : «**من يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما**»(النساء ١١٠). ويقول تعالى : «**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء**». (النساء ٤٨) ويقول تعالى : «**قل يا عبادى الذين أسرفو على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم**» (الزمر ٥٣) فأى باب للرحمة أوسع من هذا، وأى باب للعودة إلى الاستواء مع غفران الذنوب السابقة أوسع من ذلك الذى فتحه الله أمام عبادة؟ ومن عظمة الإسلام أن الله يقبل توبه التائب، ويبدل سيئاته

حسنـات، إذا ماتـاب وآمن وعمل عملا صالحا. قال تعالى : «**إلا من تاب وآمن وعمـل عمـلا صالحـا فأولئـك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما**» (الفرقان ٧٠) كل هذا وغيره من الأدلة يؤكد وقوف الإسلام فى وجه عامل مهم من عوامـل الانحـراف والسلوك الإجـرامى وهو ارتكاب الانحراف أول مرة، وإصابه المجرم بنوع من تبلد للإحساس، وموت للضمير، ويأس من العودة إلى الاستواء، ويأس من استعادة قبوله فى المجتمع واستعادة احترام الناس له، كل هذا هو الذى يدفعه إلى المزيد من الإجرام والخطر نتيجة لزوال الضوابط الداخلية، وتلاشى رهبة وبشاعة السلوك المنحرف من نفسه، وزوال رهبة العقاب نتيجة للتعرض له وخبرته. فمعرفة الشخص المنحرف أن الله يفرح بتوبة عبده ويبسط له كفيه ويقبله إذا آمن وتـاب وأنـاب وعمـل صالحا، بل ويبدل سيئاته حسنات، يعد أقوى منطلق ضد استمرار الانحراف وتحوله إلى خطورة إجرامية مضادة لنفسه ومجتمعه.

والتوبه واجبة على كل ذنب، فإذا كانت المعصية بين العبد وربه ولا تتعلق بحق آدمى فلها ثلاثة شروط : (النووى ـ بدون تاريخ ـ باب التوبة).

أولا ـ الإقـلاع عن المعاصى تماما. ثانيا ـ الندم على مافعله. ثالثا ـ عقد العزم على عدم العودة للانحراف. أما إذا كانت تتعلق بحق آدمى، فيجب إلى جانب الشروط الثلاثة أن يبدأ المنحرف من حق صاحب الحق الذى اعتدى عليه فإن كان مالا أو نحوه ردهِ إليه، وإن كان قذفا ونحوه مكنه منه وطلب عفوه وهكذا كل هذا من شأنـه تنقية النفـوس، وإزالة الحقد والضغائن والرغبه فى الثأر والانتقام من نفوس المجنى عليهم أو ذويهم. وهو سبب استمرار وتزايد السلوك الانحرافى.

أساليب استخدام الوقت (خاصة وقت الفراغ) وعلاقته بالسلوك الانحرافى :

تؤكد الدراسات المختلفه ارتباط الانحراف بسوء استخدام وقت الفراغ، وطبيعة تكوين وقيم وسلوكيات وأنشطة واتجاهات الجماعات التى يقضى الإنسان معها وقت

فراغه فالانحراف كما أكدت دراسات «تارد» و «سوذرلاند» و «كريس» ليس إلا سلوكا يتعلمه الفرد داخل جماعات العلاقات الوثقى التى ينتمى إليها (Sutherland- et-al- 1970- 75) من خلال عمليات المحاكاة والتوحد. فالفرد يحدد نموذج الدور المفضل Role model ثم يصوغ سلوكه طبقا لهذا النموذج. وأخرج «ماتزا» (Matza'D- 1966- 22- 27) نظرية (الانجراف) Drift theory ومؤداها أن الشباب الجانحين هم الذين يجرفهم التيار الانحرافى للجماعات التى ينتمون إليها ويقضون داخلها وقت فراغهم.

ويؤكد «جيفرى» فى نظريته عن الاغتراب الاجتماعى Social alienation theory أن التحضر وتعقد علاقات العمل وأنماط الإقامة ونمو التصنيع والنمو السكانى وتحول العلاقات الأولية إلى ثانوية ونمو التعليم وتزايد الصياغة البيروقراطية للمجتمع تؤدى إلى فشل العلاقات الشخصية الحميمة، والجماعات الوثقى كالأسرة فى ضبط البناءات العقائدية والقيمية والسلوكية للأعضاء، كما تؤدى الى شعور النشىء والشباب بالضياع أو الاغتراب مما يؤدى بالأفراد إلى محاولة إثبات ذاتهم من خلال الانتماء إلى جماعات، يطلق عليها بعض الباحثين «جماعات الشارع Street groups وغالبا ما تكون جماعات انحرافية، يشعر الفرد لها بالولاء لأنها تسهم فى إشباع حاجاته التى فشلت الجماعات النفسية Psyche groups وأهمها الجماعات الأسرية والقرابية، فى إشباعها نتيجة لفقدان قدرتها الوظيفية فى ظل متغيرات معينة (Haskell et-at-at-1978- 391).

وقد أشارت العديد من الدراسات الميدانية إلى أن كثيرا من الأحداث يمارسون انحرافهم فى وقت فراغهم، وأن هناك علاقة بين الانحراف وأساليب قضاء وقت الفراغ ومن هذه الدراسات بحث اجراه مركز أبحاث مكافحة الجريمة بوزارة الداخلية السعودية بعنوان (الجنوح والترويح فى الأوقات الحرة لدى الشباب فى المملكة العربية السعودية) (مركز أبحاث مكافحة الجريمة وزارة الداخلية السعودية -

١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م) وهناك بحث عن «الفراغ والشباب الجامعى، أجراه قسم الاجتماع بكلية آداب الإسكندرية (محمد ، محمد على ١٩٨١م) وإذا كانت بعض الدراسات قد كشفت عن أن الكثير من حوادث الجنوح تقع خلال وقت الفراغ (عارف ، محمد ـ ١٩٨١ ـ ٤٠٩) فقد كشفت دراسة «شو» «وماكاى» عن أن نسبة كبيرة من الجناح ترتكب داخل جماعات، كانت نسبتهم فى دراستها الميدانية ٨٠٪ من مجتمع الدراسة، مما يدل على أثر المخالطة أثناء وقت الفراغ على الانحراف. (عارف، محمد ـ ١٩٨١م ـ ٤١٠) ومن أهم الدراسات الميدانية التى أجريت حول ظاهرة وقت الفراغ وظاهرة الجناح، الدراسة التى أخرجها «شاناس» بعنوان «الترويح والجناح سنة ١٩٤٢ (Shanas' E.- 1942) وصدرت عن جامعة شيكاغو وأكدت نتائجها العلاقة بين أساليب قضاء وقت الفراغ وبين السلوك الانحرافى، وهناك دراسة أجراها المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية بمصر سنة ١٩٥٩م بعنوان «السرقة عند الأحداث» كشف عن أن أكثر الأماكن التى يقضى فيه الجانحون أوقاتهم هى الشارع أو الحارة، ثم دور السينما، ثم الحدائق، ثم المقاهى، ثم الأندية، وظاهرة وقت الفراغ آخذه فى الازدياد فى الأزمنه الحديثه نظرا للتحضر والتقدم التكنولوجى وتزايد التخصص وتقسيم العمل وارتفاع مستويات المعيشة، وهذا لا يعنى أن زيادة وقت الفراغ هى التى تؤدى إلى الانحراف ، وكل ما يمكن قوله أن هذه الزيادة تهىء المزيد من الفرص للانحراف إذا أسىء استخدام وقت الفراغ. وهذا يرتبط بالطريقة التى يشغل بها الأحداث وقتهم، والأماكن التى يقضون فيها هذا الوقت، والأشخاص الذين يرتبط بهم هؤلاء خلال وقت الفراغ (عارف، محمد ـ ١٩٨١ ـ ٤٠٩) وإذا رجعنا الى الإسلام نجد أنه يؤكد على قيمة الوقت وضرورة استثماره فيما يفيد الإنسان وأسرته ومجتمعه، وما يفيده فى الدنيا والآخرة، كذلك يؤكد على أهمية الترويح فى وقت الفراغ فى إطار مجموعة من الضوابط التى تحول دون الانحراف، وثالثا فإن الإسلام يركز على أهمية تخير الصداقات سواء للشخص أولاً بنائه لأثرهم الكبير فى توجيه الفكر والسلوك، ورابعا يضع الإسلام مجموعة من الأساليب المفيدة للترفيه، ومجموعة من القيم أو الغايات التى يحاول تحقيقها، وهى أهداف عقائدية وتربوية وتعليمية، تستهدف تنمية الجسم والعقل والنفس وترقى الأخلاق وتثبت القيم البناءة ـ كالتعاون

والتنافس المشروع، وتنمية الروح القيادية والتبعية المستنيرة، والحوار البناء، والنقد الهادف... فالوقت هو حياة الإنسان، وهو نعمة كبرى من نعم الله، ومنة منه سبحانه، وهو الفترة التى يختبر فيها الإنسان، وما مضى منه لن يعود، ولهذا يجب على الإنسان استثماره تحقيقا لصالحه فى الدنيا والآخرة. قال تعالى: «**وسخر لكم الشمس والقمر دائبين، وسخر لكم الليل والنهار، وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**» .(إبراهيم ٣٣ - ٣٤). ومن الدلائل على اهتمام الإسلام بالوقت وتنبيه الناس إلى أهميته وحسن استثماره، أن الله سبحانه وتعالى يقسم فى مطالع بعض السور ببعض مظاهر الوقت كالفجر والشمس والليل والنهار... «**والشمس وضحاها**» (الشمس ١، ٢)، «**والعصر إن الإنسان لفى خسر**» (العصر ١، ٢)... ومن المعروف لدى المفسرين وفى حس المسلمين أن الله عندما يقسم بأى من مخلوقاته - وله وحده سبحانه أن يقسم بأى من مخلوقاته - فإنما يكون ذلك للفت أنظار عباده إلى أهمية هذا الشىء وإلى عظيم نفعه لهم (القرضاوى، يوسف - ١٩٨٨ - ٥)

وينبهنا القرآن الكريم إلى أن وقت الإنسان يجب أن يوجه لما يرضى الله، ولما يؤدى إلى صالح الإنسان. فى الدنيا والآخرة قبل فوات الأوان قال تعالى: «**وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تفعلون**» (المنافقون ١١) وقد روى معاذ بن جبل أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال «لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال، عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به (رواه البراز والطبرانى). وقد ركز الحديث على الشباب لأنه زمن القوة والفتوة والإنتاج والعزيمة (القرضاوى، يوسف - ١٩٨٨ - ٥) والشباب هو مرحلة توقد الشهوه واشتداد إغواء الشيطان، فمن قهر الشيطان فاز برضاء الله عز وجل. كذلك يقول عليه السلام «اغتنم خمسا قبل خمس - شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» (رواه الحاكم) وقال عليه السلام «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ» (رواه البخارى

الـرقـاق ٧٤ ، ص ٢٢٢١). وقد قرن الحديث بشكل معجزبين الصحة والفراغ كنعمتـين عظيمتـين، ومن العجيب أن المنحـرفـين يذهبون بصحتهم خلال وقت فراغهم فيدمـرون الاثنـين معـا من خلال ارتكـاب المعـاصى كالسكر والمخدرات والفاحشة والميسر. . .

وإذا كان الإسلام ألغى أعياد الجاهلية فقد استبدلها بالأعياد الإسلامية عيد الفطر وعيد الأضحى. والإسـلام يقـر الترويح الهادف الذى ينطلق من موجهات قيمية ويستهدف تحقيق غايات تربوية، كالرياضة ومشاهدة الألعاب وكتابة وقراءة القصص والشعر والرماية والمبارزه والسباحة، ويقر الإسلام المزاح مع قول الصدق ويشجع على رياضـه الجرى، وكان الرسول عليه السلام يروى قصصا للصحابة، وكان يسابق السيدة عائشة رضى الله عنها، وكان يتفرج هو والسيدة عائشة على الأحباش وهم يلعبـون بحـرابهم فى المسجد، وكان عليه السلام يمارس المصارعة، وقد قال عليه السلام «إن من الشعر لحكمة» (فتح البارى ـ شرح صحيح البخارى ـ دون تاريخ جـ ١٠ ـ ٥٣٧((الشترى. عبدالعزيز ـ ١٩٨٦ ـ ٧٦ ـ ٨٠) وكان عليه السلام يمزح مع أصحابه ولا يقول إلا صدقا.

ويشترط فى الترويح طبقا للمنهج الإسلامى أن يخلو من الإسفاف والتبذل ، وأن يلتزم بالقيم والأخلاق الإسلامية، وأن يحقق أهدافا تربوية، وألا يطغى على العمل الجاد، وألا يحقق أهداف فردية أو فئوية أو حزبية، وأن يكون تحت إشراف تربوى موجه.

خاتمة البحث :

يتضح من كل ما سبق أن الإسلام يقدم تفسرا شاملا متكاملا للانحراف والسلوك الإجـرامى يتيح المجال لتكامل العوامل الاجتماعية والثقافيه والاقتصادية والبيئية و (البيولوجية) والتربويه والنفسية، كما يؤكد على مجموعة من الحقائق اليقينية التى ليس فى حوزة العلم الـوضعى التـوصل إليها مثل وسوسة الشيطان، ووسوسة النفس، وضعف النفـوس، وضعف الإيمان، والحسـد ومرض القلوب والضلال. . ويضع الإسلام معايير دقيقة لتحديد أوزان كل عامل من منطلقات إيمانية ويتجنب التفسير الإسلامى كل المزالق التى وقعت فيها التفسيرات الوضعية مثل الحتميات وأحادية العـامـل والانحياز (الأيديولوجى) ومحاولة تحقيق مصالح فئوية. . وماذلك إلا لأنه يعتمد على كتاب أحكم الحاكمين وأقوال خاتم المرسلين الذى لا ينطق عن الهوى والذى بعثه الله رحمة للعالمين.

وهذا يعنى أن التفسير الإسلامى للانحراف والسلوك الإجرامى تفسير تكاملى، يستمد من طبيعة البناء العقائدى والبناء الاجتماعى الذى تقيمه الشريعة الإسلامية، ومن طبيعة النظم الاجتماعية الإسلامية الكفيله بتحقيق المجتمع القوى المتقدم مادياً ونفسياً وروحياً، والـذى تسـوده العـلاقـات الصحية القـائمـة على الأخوة والمحبة والتماسك، العلاقات السوية الطاهرة الخالية من كل عوامل الحقد والحسد والضغينة والعداوة والتفكك. كذلك فإن هذا التفسير يستمد من طبيعة التشريع الجنائى أو السياسة الجنائية فى الإسلام، خاصة من شروط التجريم التى تتعلق بشخص الجانى نفسـه، ومنهـا اشـتراط شروط مثـل التكليف والعقـل والبلوغ والقصـد الجنائي. «فالمجنون، وهو الشخص المختل عقلياً تنعدم أهليته للأداء أصلا نظرا لغياب العقل ولا تترتب آثـار شرعية على أقـواله ولا على أفعاله» (خلاف ، عبدالوهاب ـ بدون

تاريخ ـ ١٣٧). وهناك الأشخاص ناقصوا الأهلية كالصبى غير المميز، والشخص المعتوه. وهذا الأخير ليس مختل العقل، ولا فاقده، ولكنه ضعيف عقلياً. (خلاف ـ ١٣٧) ويدرك الدارس للشريعة الإسلامية بشكل عام، والتشريع الجنائى فى الإسلام بشكل خاص، أن الإسلام سبق كل المدارس الوضعية فى علم الإجرام وفى علم اجتماع الجريمة وفى التنبيه والاهتمام بفهم وتحليل العوامل المختلفة التى تسهم فى وقوع السلوك الانحرافى. ويمكن إيجاز ذلك فيما يلى.

أولا ـ سبق الإسلام المدرسة (البيولوجية) فى التأكيد على أثر العوامل (البيولوجية) فى تحقيق سواء أو انحراف السلوك. وقد سبق تفصيل ذلك ولعل من أهم ما يؤيد هذا القول، رفع الأهلية أو المسؤولية عن المجنون لاختلاله عقليا، وهو خلل راجع إلى عوامل (بيولوجية) عضوية. كذلك فقد اعتبرت الشريعة الإسلامية المعتوه ناقص الأهلية، وكذلك الصبى الذى لم يميز نتيجة لعدم اكتمال النضج العقلى. يضاف إلى هذا توجيه الرسول عليه السلام للشباب بالزواج المبكر نظرا لما تتسم به مرحلة الشباب من طاقة (بيولوجية) حيوية ونفسية، والزواج المبكر أغض للبصر وأحصن للفرج. أما من لا يستطيع الزواج من الشباب فقد نصحه الرسول عليه السلام بالصوم، لما يؤدى اليه من كسر لحدة الشهوة، وتطهير للنفس وزيادة فى التقوى والقربى من الله.

ثانيا ـ سبق الإسلام المدرسة النفسية فى تفسير السلوك الانحرافى فى بيان الارتباط بين الصحة النفسية وسواء او انحراف السلوك، وبيان الركيزة الأولى للصحة النفسية، وهى الإيمان بمضمونه الإسلامى، والالتزام بالعقيدة والقيم والسلوك الإسلامى الصحيح. وقد سبق الإسلام هذه المدرسة فى التأكيد على أثر العوامل التربوية والنفسية على سواء السلوك أو انحرافه، حيث نبه إلى أهمية بناء الأسرة على أسس قويمة من حيث معايير اختيار الزوج والزوجة، وأهمية التكافؤ، وأصول التربية الصحيحة للأطفال، وحقوق الأبناء على الآباء، وأهمية القدوة فى حياة الأبناء.

ثالثا ـ سبق الإسلام المدرسة (السوسيولوجية) فى التأكيد على أثر العوامل الاجتماعية على سواء أو انحراف السلوك، مما سبق أن شرحناه. فقد اهتم الإسلام بالعوامل التربوية، وأهمية الصحبة أو نوعية الجلساء، وعلاقات الجوار، وأهمية التناصح والتعاون والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأهمية مصاحبة العلماء الأتقياء، وأهمية غض البصر ومراعاة حرمة الطرقات، وتجنب التبرج والاختلاط، وحماية الشباب من كل عوامل الفتن والأغراء . . . الخ.

رابعا ـ سبق الإسلام المدرسة الاقتصادية فى تفسير السلوك الانحرافى، فى التأكيد على أثر العوامل الاقتصادية فى تشكيل السلوك ولهذا جعل الإسلام الزكاة فريضة وعبادة مالية وركنا أساسيا من أركان الإسلام الخمسة. وأوجب على الإنسان نفقات معينة هى واجبات التكافل الاجتماعى، وحث المؤمنين على الصدقات للمستحقين، وعلى حسن الجوار، وعلى كفالة اليتيم، وعلى البر بالمساكين، كما أوجب على الدولة كفالة الفقراء حتى لا يستبد بهم الفقر المدقع، فينحرفون عقائديا وسلوكيا، كذلك حرص الإسلام على عدم وجود تناقض بين الغنى الفاحش والفقر المدقع من خلال إجراءات شرعية، منها تحديد أوجه التملك الشرعى، وتحريم الربا والاكتناز والاحتكار والغش والرشوه، ومن خلال تفتيت الثروة فى كل جيل من خلال الميراث الشرعى.

خامسا ـ ركز الإسلام على عوامل مهمة أو على مجموعة من الحقائق ليس فى حوزة العلم الوضعى من خلال مناهجه الحالية التوصل إليها، منها وسوسة الشيطان، والمس، ووسوسة النفس. . كعوامل أساسية فى دفع الإنسان إلى السلوك المنحرف. وقد قسم البخارى ـ فى حاشيته على «أصول فخر الإسلام» الجنون الى ثلاثة أقسام (أبو زهرة، محمد ـ ١٩٧٦ ـ ٤٦٦ ـ ٤٦٧) وهى :

أ ـ «جنون جاء مع الخلق والتكوين» أى وراثى أو جبلى بحيث يجعل الإنسان غير صالح لقبول وأداء ما أعدله وهذا النوع فى رأى البخارى لا يرجى زواله، ولا منفعة فى الاشتغال بعلاجه.

ب - «جنون يرجع إلى زوال الاعتدال الحاصل للدماغ خلقة بأن يعرض للعقل ما يجعله فى إضطراب مستمر»، وهنا تنتفى القدرة على التقدير السليم للأمور. وهذا النوع يمكن علاجه بما خلقه الله من أدوية.

جـ - القسم الثالث من أقسام الجنون عن البخارى هو مس الشيطان. ويقول عنه البخارى «إنه استيلاء الشيطان عليه، فيخيله الخيالات الفاسدة، ويفزعه فى جميع أوقاته فيطير قلبه. . . » و «يسمى هذا الشخص الذى به هذه العلة ممسوساً لخبط الشيطان أياه، وموسوسا لإلقائه الوسوسة فى قلبه» وهذا القسم سليم العقل. ويرجع الانحراف والاضطراب فيه إلى المس الشيطانى فى أحوال دون أحوال (أبو زهرة، محمد - ١٩٧٦ - ٤٦٧).

ومع شمول التفسير الاسلامى لكافة العوامل التى تسهم فى تحقيق الانحراف والتى تحدثت عن بعضها المدارس الوضعية، فإن ميزة التفسير الإسلامى أنه لم ينحدر إلى هوة الحتميات أو التطرف أو المغالاة التى وقع فيها بعض أنصار المدارس الوضعية كالحتمية (البيولوجية)، والحتمية الاقتصادية، والحتمية الجغرافية، والحتمية النفسية (السيكولوجزم)، والحتمية الاجتماعية (السوسيولوجزم). فقد وضع الإسلام كل عامل فى مكانه الصحيح يضاف إلى هذا أن الإسلام رسم السبيل إلى تجنب ظهور عوامل الانحراف - كالفقر المدقع، وسوء التربية، والبيئة الاجتماعية الفاسدة وشيوع الاغراءات الرخيصة. . . مما يشير إلى اهتمام الشريعة الإسلامية بالجوانب الوقائية من الانحراف، جنبا إلى جنب مع الجوانب الإرشادية والتوجيهية، والجوانب العلاجية، فى آن واحد. وينجم الانحراف أو تزيد معدلاته، نتيجة للخلل الذى يقع فيه المجتمع فى تطبيق شريعة الإسلام. ويكون العلاج بإزالة هذا الخلل من خلال التطبيق السلمي للمنهج الإلهى فى بناء وتنظيم الحياة الاجتماعية داخل المجتمع.

مصـــادر البحـــث

أولا ـ المصادر العربية :

القرطبى ، أبو عبدالله محمد أحمد

١٩٦٦ ـ الجامع لأحكام القرآن ـ دار إحياء التراث العربى ـ بيروت .

أبوزهرة ، محمد

١٩٧٦ : الجريمة والعقوبة فى الفقه الإسلامى : دار الفكر العربى ـ مصر .

القرضاوى ، يوسف .

١٩٨٨ : الوقت فى حياة المسلم : مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

القرضاوى ، يوسف .

١٩٨٥ : مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام : مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

العسقلانى ، ابن حجر .

بدون تاريخ : فتح البارى ـ شرح صحيح البخارى : تحقيق وإشراف الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

الألبانى ، محمد ناصر الدين .

١٩٨٢ : صحيح الجامع الصغير وزياداته : المكتب الإسلامى ـ الطبعة الثالثة ـ بيروت .

أبو زهرة ، محمد .

١٩٧٤ : الجريمة والعقوبة فى الفقه الإسلامى ـ دار الفكر العربى ـ مصر ـ بدون تاريخ ، محاضرات فى المجتمع الإسلامى : معهد الدراسات الإسلامية .

السمالوطى ، نبيل .

١٩٨٠ ـ التنظيم المدرسى والتحديث التربوى ـ دار الشروق ـ جدة .

السمالوطى ، نبيل .

١٩٨١ : علم اجتماع التنمية : داراسة فى اجتماعيات العالم الثالث دار النهضة العربية ـ بيروت .
١٩٨٣ أ : الدراسة العلمية للسلوك الإجرامى ـ دار الشروق جدة
١٩٨٣ ب : علم اجتماع العقاب جزءان ـ دار الشروق جدة .
١٩٨٦ أ : الأيديولوجيا وأزمة علم الاجتماع المعاصر : دار الكتاب الجامعى ـ مصر .
١٩٨٦ ب : البناء النظرى لعلم الاجتماع ـ دار الكتاب الجامعى ـ مصر .
١٩٨٧ : بناء المجتمع الإسلامى ونظمه ـ دار الشروق ـ جدة .

الغزالى ، أبو حامد .

بدون تاريخ : إحياء علوم الدين ـ جـ ٣ ، القاهرة ـ المشهد الحسينى .

المركز العربى للدراسات الأمنية والتدريب .

١٩٨٠ دراسات حول قضايا الشغب وأحداث العنف .

النـووى ، محى الدين .

بدون تاريخ : رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، إشراف لجنة من العلماء العسال ، أحمد محمد ، وعبدالكريم ، فتحى أحمد .

١٩٧٧ : النظام الاقتصادى فى الإسلام ـ مكتبة وهبة .

ابن خلدون ، عبدالرحمن .

بدون تاريخ : مقدمه ابن خلدون شرح وتحقيق وتعليق على عبدالواحد ـ الطبعة الثالثة .

النـووى .

١٣٩٢ صحيح مسلم بشرح النووى : دار إحياء التراث العربى ـ بيروت .

النيسابورى ، الحاكم ,

١٩٦٨ : المستدرك على الصحيحين ـ الرياض مكتبة النصر .

الهيثمى ، نور الدين على بن ابوبكر .

١٤٠٢هـ : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : دار الكتاب العربى ـ بيروت .

بهنس ، احمد .

بدون تاريخ : الحدود والتعزير : مكتبة الوعى العربى ، الفجالة ـ مصر .

جعفر ، على محمد .

١٩٨٤ : الأحداث المنحرفون: عوامل الانحراف، المسؤولية الجزائية ـ التدابير داراسة مقارنة : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع .

حتاته، محمد نيازى

١٩٧٥ : الدفاع الاجتماعى: السياسة الجنائية المعاصرة بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعى ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة .

خلاف ، عبدالوهاب .

بدون تاريخ : علم أصول الفقه: الطبعة الثامنة ـ دار القلم ـ القاهرة .

خليل، معن .

١٩٨٣ : الموضوعية والتحليل فى البحث الاجتماعى ـ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت .

عيسى ، حسن .

١٩٨٤ : بيئة السجين فى ماضيها وحاضرها وتأثيرها على سلوكه ـ بحث منشور فى كتاب «السجون ـ مزاياها وعيوبها من وجهة النظر الإصلاحية» منشورات المركز العربى للدراسات الأمنية .

عودة ، عبدالقادر.

بدون تاريخ : التشريع الجنائى فى الإسلام مقارنا بالقانون الوضعى، دار الكتاب العربى، بيروت ـ جزءان .

محمد، محمد على .

١٩٨١ : وقت الفراغ فى المجتمع الحديث: دار المعرفة الجامعية ـ الإسكندرية مركز أبحاث مكافحة الجريمة ـ وزارة الداخلية السعودية .

١٩٨٤ : بحث الجنوح والترويح فى الأوقات الحرة لدى الشباب فى المملكة العربية السعودية .

عارف ، محمد .

١٩٨١ : الجريمة فى المجتمع ـ الطبعة الثانية ـ مكتبة الأنجلو المصرية، مقداد، يالجن .

١٩٨٧ : التربية الإسلامية ودورها فى مكافحة الجريمة ـ الرياض .

ثانيا ـ المصادر الأجنبية :

- Concklin,J.E

1975 : The impact of crime- NewYork- Macmillan Publishing Co.

- Cressey, D.R.

1960 : The theory of differencial association : An introduction-in «Social Problems» 8- Summer.

- Goring, C.

1913 : The English Convict- London - His majesty stationary office.

- Glueck, S and Glueck, E.

1955 : Unraveling Juvinile delinquency, Cambridge Harvard University.

- Haskell, M.R and Yablonsky, L.

1978 :Juvenile delinquency- Second'ed. Rand Mc Nally Colledge Publising Co. Chicago.

- Jillille, J.M. and Reinhart, J.

1933 : Current social problems: American book Co.

- Jeffery, C.R.

1959 : An Integrated Theory of Crime and criminal behavior : Journal of criminal law :

Criminology and police Science 50-March.

- Harries, K.D.

1977 : The geography of crime. Mc Graw Hill :

Problems series : Edward Taffee series editor.

- Merton, R.K.

1957 : Social theory and social structure.

- Matza, D.

1960 : Delinquency and drift. NewYork Wiley.

- Macmillan.

1983 : Macmillan student encyclopedia of sociology.

- National advisory commission on civil disorders.

1968 : Report : Washington D.C.U.S. government printing office.

- Rec less' W.C.

1961 :The crime problems : NewYork : Apleton century crofts.

- Sutherland' E and Cressey' D.

1970 : Criminology 8th. ed J.B. Lippincott Co.

- Shanas' E.

1942 : Recreation and delinquency : Chicago University Press.
- Chow' C. et al.
1927 : Delinquency areas : Chicago University Press.
- Teelers, N.K and Matza' D.
1959 : The extent of delinquency in the united states: Journal of Negro education 28- Summer - 200-218.
- Tresler, G.
1962 : The explanation of criminality : London:
Routledge and Kagan Poul.
- Wallace, W.
1979: The logic of science in sociology:
Aldin publishing Co. N.Y.